روايات مصرية للجيب
زهور
108
الوردة البيضاء
Looloo
www.dvd4arab.com
فوزي عوض

هذه السلسلة ..

عندما تتحول حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحب الذى يروى هذه المشاعر .

فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فيشع عبيرها الفوّاح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور تستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

الفصل الأول

ظهر (زيزو) أعلى سلم النادى ، فأسرعت فتاة جميلة تهمس لصاحبتها التى تجالسها حول إحدى موائد النادى النهرى :

ـ (فيكى) .. (فيكى) ..

وأشارت بعينيها إلى الفتى الذى يهبط السلم وثبًا ، فأسرعت (فيكى) تلتفت نحوه ، فإذا به مقبلاً نحوهما ، مما جعلهما تسارعان بتبادل نظرة دهشة خاطفة ، ظنًا منهما أنه يقصدهما ، عادتا بعدها تستقبلانه بعيونهما الباسمة ، لسرعان ما تكتشفان أنه لا يقصدهما ، بل يقصد الأديب الجالس إلى المائدة التى تليهما مباشرة ، مستغرقًا فى الكتابة ، حتى انتبه على صوت (زيزو) :

ـ صباح الخير يا أستاذ (نور) .

فإذا بالأديب يلقى بقلمه فوق أوراقه ، لينهض آخذًا (زيزو) فى حضنه قائلاً :

ـ أهلاً ااا .. بالابن العاق .

ابتسم (زيزو) فى حضنه :

ـ يا ساتر ! عاق مرة واحدة ؟!

وكان رد الأديب معاتبًا :

ـ طبعًا عاق .. أسبوع بأكمله لا أراك ، ولا أسمع صوتك ..

وكان رد (زيزو) بحيائه الجميل :

ـ لك الحق فى هذه يا أستاذ .. أنا آسف ..

ولم يملك الأديب إلا أن يتطلّع إليه بمنتهى الحب والحنان ، ثـم يجيبه مبتسمًا :

ـ قبلنا اعتذارك أيها السُّمانى الجميـل ، ولكن لا تكررها مرة أخرى .

وكان رد (زيزو) بابتسامته الحلوة :

ـ طبعًا لن أكررها .

والتفت المضيف الوسيم إلى المائدة ، فإذا بها بلا مشروبات ، فأسرع يسأل الأستاذ :

ـ ألم يأتوا لحضرتك بالقهوة ؟

وكان رد الأستاذ وهو يعاود الجلوس أمام أوراقه :

ـ منذ أسبوع وأنا أشربها بلا طعم .

فكان رد المضيف على الفور :

ـ فورًا سيكون عند حضرتك أحلى فنجان قهوة .

واستدار (زيزو) منصرفًا ، فإذا بالجميلة صديقة (فيكى) تستوقفه :

ـ (زيزو) !

دنا منها (زيزو) متبسّمًا :

ـ صباح الخير يا آنسة (ميرفت) .

غمرته بابتسامة عينيها الجريئتين :

ـ حمد لله على السلامة .

ـ الله يسلمك يا افندم .

ـ ممكن كوب عصير فريش من يدك ؟

ـ طبعًا يا افندم .. ممكن .

والتفتت الفتاة إلى صديقتها :

ـ ماذا تشربين يا (فيكى) ؟

وإذا برد (فيكى) وهى تلتهم الفتى بعينيها الزرقاوين فى جرأة عجيبة :

ـ أريد مشروبًا فى شكل القمر ، وبطعم العسل .

انفلتت ابتسامة (زيزو) الخجلى ، ولم يملك إلا أن يلتفت إلى صديقتها حائرًا ، فأسرعت تنقذه :

ـ أى شىء منك سيعجبها يا (زيزو) .

وكان جواب الفتى :

ـ أمرك يا افندم .

والتفت إلى (فيكى) وكأنه يستأذنها فى الانصراف ، فإذا بها تغرس سهمًا ناريًا من عينيها فى عينيه ، قائلة :

ـ لو عندك مشروب اسمه (زيزو) ، أدركنى به .

ولم يملك (زيزو) لها جوابًا إلا ابتسامة إعجاب بشقاوتها اللذيذة ، مضى بعدها إلى [illegible] النادى ، ليجد (هيام) فى انتظاره أمام البوفيه ، تستقبله مداعبة :

ـ تغيب مهما تغيب .. رزقك فى انتظارك .

وكان رد (زيزو) فى تبسم وحنو :

ـ كيف حالك يا (هيام) ؟

ـ الحمد لله .

ـ عن إذنك أستبدل ثيابى .

ومضى (زيزو) إلى حجرة الملابس ، بينما زميلته تشيّعه بنظرة إعجاب بريئة .. نعم بريئة .. فصحيح أنها كانت شديدة الإعجاب به .. إعجاب بوسامته الزائدة عن الحد ، وإعجاب بشخصيته الراقية ، وإعجاب برجولته ونضجه ، وإعجاب برقة إحساسه .. إعجاب بكل ما فيه .. وللحق كان كل ما فيه جميلاً ، ومثيرًا للإعجاب .. ولكن إعجاب (هيام) به كان إعجاب الأخت بأخيها .. لقد كانت الفتاة ترى فيه نعم الأخ .. وسبحان الله .. كانا يتشابهان كثيرًا ، وكأنهما شقيقان حقًا ، لا مجرد زميلى عمل ..

كان (زيزو) فى الثالثة والعشرين من عمره .. وكان فلقة قمر .. وجه أبيض شاهى ، لا مثيل له فى وسامته ، وملامح رجولية ، تحمل كل سحر الرجولة ، وقوام (مانيكان) لا يقل سحرًا عن سحر وسامته .. وفوق ذلك كله جاذبية لا تُقاوم ..

ولو كان هناك (آلان ديلون) فى (مصر) لكان (زيزو) ..

ومن هنا كان الفتى حديث كل حسناوات النادى ، وهدفًا ساخنًا لـ (فيكى) وأشكالها .

أما (هيام) فقد كانت تصغره بعامين تقريبًا .. ولكنها كانت تفوقه بياضًا ناصعًا ، وكأنها تستحم يوميًا بضوء القمر .. وكانت ملامحها مرسومة ربانيًا بمنتهى الرقة والعذوبة .. وكان لها عينان عجيبتان ، ما خلق الله لهما مثيلاً فى جمالهما .. عينان اجتمع فيهما الليل والنهار وبريق لا يسلم القلب من وميضه .. وفى جملتها كانت بدرًا لو أطل على مدينة مظلمة لأضاءها كلها فى طرفة عين .

ومن هنا كان كل من يرى (زيزو) و (هيام) معًا ، لا يخرج ظنه فيهما عن اثنين ، إما هما شقيقان ، وإما ..... حبيبان .. وكان الاعتقاد فى الثانية أكثر ، حتى إن الأستاذ (نور) نفسه ، رغم أنه كان خير من يعلم حقيقة ما يربطهما ببعضهما ، إلا أنه كان كلما شاهدهما معًا ، وجد نفسه يتساءل بدهشة حزينة : « لماذا لم تفكر فيها يا (زيزو) ؟! » .. كان يملؤه شعور عجيب بأنهما خُلقا ليكونا حبيبين ، لا أخوين .

وخرج (زيزو) من غرفة الملابس بـ (يونيفورم) النادى .. مضى إلى (هيام) الجالسة إلى مكتبها الصغير بمدخل البوفيه ، ليتناول منها دفتر (الأوردرات) ، ثم استدار قاصدًا صالة الزبائن ، فإذا بـ (شهيرة) زميلته تقطع عليه الطريق بشقاوتها الحلوة :

- (زيزو) ؟

توقف لها الفتى مبتسمًا :

- أهلاً (شهيرة) ..

- حمد لله على السلامة يا نصف القمر .. وحشتنى .

ابتسم كعادته كلما نادته بهذا الوصف .. شقاوتها تجعلها تصر على إنكار نصف جماله .. وكان هو يتلذذ بشقاوتها هذه .. يا لها من أنثى .. لو رأيتها من بعد ألف متر للفحتك بأنوثتها المشتعلة .. غزال برى تكاد الأرض ترقص تحت قدميها على دلال خطوتها ، ولهيب أنوثتها ، ورنة صوتها التى تشبه موسيقى (الواحدة ونصف) .. لو سمعتها حتى وهى تتشاجر لوجدت قلبك يرقص رغمًا عنك على (واحدة ونصف) .. إنها أنوثة الفطرة التى

تلهب القلب والخيال ، والتى تحمل فى طياتها طيبة قلب متناهية ، تظهر وقت اللزوم .

ولم يملك (زيزو) إلا الانصراف من أمـام زميلتـه الشـقية ، قبـل أن تبـدأ وصـلة شـقاوتهـا التى لا ترحمــه منها كلما وقع بيـن يديهـا .. مضـى إلـى زبائنــه فــى الصالــة ، بينمـا عينـا (هيـام) عليه ، تموج فيهما همسة عتاب ، بثُها فى كبرياء القلب الكتوم ..

وأشرقت ابتسامة الأستاذ (نـور) فـى وجهـه .. فقد أقبلـت عليه وردته البيضاء المفتون بجمالها .. كان دومًا يرى بطـلات رواياته ملكات جمال فى الحسن والإحساس ، فـإذا بـ (هيـام) فى نظره تفوقهن جميعًا حسنًا وإحساسًا .. وبادرته وردته قائلـة بابتساماتها القمرية التى تسرق قلبه :

ـ صباح الخير يا أستاذ (نور) .

وأجابها الأستاذ بقلب سعيد برؤياها :

ـ صباح الفل يا (هيام) .

والتفتت الوردة إلى أوراقه التى أمامه متسائلة :

ـ ما أخبار الوحى مع أديبنا الجميل ؟

وكان جوابه وهو يسبح فى عينيها الحوريتين :

ـ وحيى فى عيونك يا وردتى .

أطرقت بعينيها الفاتنتين إلى الأرض فـى حياء ، فلم يزدهـا حياؤها إلا حُسنًا أذاب قلبه ، وجد نفسه يعاتب قلبه فى سره على عدم تماسكه .. ولكنه سرعان ما أفاق من عتابـه الصامت على صوت الوردة تقول له فى خفوت خجول كهمس العصافير :

ـ هل تعلم أنك أخذت كثيرًا من العندليب ؟

وجد نفسه يسبح بنظراته الحالمة فى تقاطيع وجهها الشاهى ، وكأنه يروى عينيه وقلبه من عذوبة جمالها ، ثم أجابها بهمسته الحالمة مثل نظراته :

ـ وأنت أخذتِ من القمر كل جماله يا (هيـام) .

عادت تطرق بعينيها إلـى الأرض خجـلاً .. كلماته تنساب فى قلبها ؛ لأنها تخرج مـن قلبـه .. مفتاح قلب البنت ـ أية بنت ـ هـو

الصدق الحنون .. وجدت نفسها تقول لـه بخفوتها الخجـول ، وهى ما زالت مطرقة بعينيها إلى الأرض :

ـ أنت أجمل من يغازلنى يا عندليب .

وخفق قلب العندليب ، وانفلتت منـه نظراتـه المشدوهة تحلّق على وجهها مأخوذًا ببراعتها .. مستحيل أن تكون هذه إنسية .. البراءة التى تملؤها لا وجود لها إلا فى الملائكة ..

وانتبهت الوردة المطرقة على صمت العندليب .. رفعت عينيها الخجليين إلى وجهه ، فإذا بنظراته المشدوهة تغمر وجهها ، فلم تملك إلا الابتسام ، متسائلة :

ـ ماذا يا عندليب ؟!

وأجابها العندليب بدهشته :

ـ كنت أتساءل فى نفسى : ممَّ خلقك الله يا (هيام) ؟

وكان ردها بدهشتها الخجولة :

ـ من تراب طبعًا يا عندليب .. ألست إنسية ؟!

وإذا برد العندليب :

ـ لا .. مستحيل أن تكونى إنسية ، وأن تكونى من تراب ..

وازدادت دهشة الوردة :

ـ ممَّ أكون إذن ؟!

وجاءها الرد سريعًا :

ـ من خلاصة جمال الكون .. يخيّل إلىّ أن الله أخذ من كل ما فى الكون أجمله .. أجمل ما فى القمر .. أجمل ما فى النجوم .. أجمل ما فى الورود .. أجمل ما فى الليل .. وأجمل ما فى النهار .. ورشهم جميعًا برقة الملائكة .. ثم خلقك .. فكنت أنت يا (هيام) .

وفوجئت الوردة ..

وخفق قلبها بشدة ..

بينما اندفعت حمرة الخجل تصبغ وجهها الشاهى ، فإذا به قمرًا ورديًا فاتنًا ، تنهل العين مهما تنهل من عذوبة جماله ، فلا ترتوى ..
وبالفعل لم ترتو عينا العندليب ، ولكنهما سكرتا .. سكرتا فنسيتا نفسيهما ، فلم تملك الوردة إلا أن تهرب منهما بالإطراق إلى

الأرض حرجًا .. مما جعل العندليب يفيق إلى نفسه ، فيسارع بسؤالها :

ـ ها يا (هيام) .. ما أخبار (أحمد) ؟

وانتشل سؤال العندليب (هيام) من حرجها ، فرفعت وجهها تجيبه :

ـ الحمد لله .

ولكنْ شيئًا ما فى نبرة (هيام) وفى عينيها استوقف العندليب .. شيئًا انتقل بها من حال إلى حال ، وذهب بإشراقة وجهها ، مما جعل العندليب يسألها بشىء من القلق :

ـ ماذا هناك يا (هيام) ؟ هل حدث بينكما شىء ؟

وإذا برد (هيام) سريعًا ، وكأنها فوجئت بالسؤال :

ـ لا .. لا .. نحن بخير ..

وإذا بها ترسم ابتسامة مصطنعة على شفتيها ، ثم تردف قائلة :

ـ أنا آسفة إذا كنت قد أطلت على حضرتك .. سأتركك لوحيك الجميل .. عن إذنك .

وقبل أن يجيبها العندليب بالإذن ، كانت قد استدارت منصرفة ، بينما الرجل يشيعها بنظرة قلق ودهشة ، فلم يكن إسراعها بالانصراف من أمامه بهذه الطريقة ، إلا لكى تدارى عنه ذلك الشىء الذى بدّل حالها ، وذهب بإشراقة وجهها !!

* * *

الفصل الثانى

انتبهت (هيام) على صوت (أحمد) الواجم :

ـ مساء الخير .

رفعت وجهها المطفأ إليه ، لتنفلت من عينيها نظرة حزينة تتقطّر مرارة ، لم تملك بعدها إلاّ أن تجيبه واجمة :

ـ أهلاً (أحمد) .. اجلس !

جلس أمامها بعبوسه ، بينما أردفت هى بوجومها :

ـ دقائق وسأكون معك .

وعادت تستأنف تسوية حسابات النادى ، بينما راح (أحمد) يشعل لنفسه سيجارة ، أخذ منها نفسًا طويلاً ، ثم راح يرنو إلى (هيام) بنظرات مضجرة تعكس اختناقه من الانتظار .. بدا وكأنه يريد أن يطلب منها ترك ما بيدها والنهوض معه ، ولكن انهماكها فيما تعمل ألزمه الصبر .. فراح يفش ضجره فى دخان سيجارته .. وإذا بـ (زيزو) مقبلاً عليه ببشاشته الحلوة :

ـ حمد لله على السلامة يا أستاذ (أحمد) .

وأجابه (أحمد) مصافحًا بجهامته :

ـ الله يسلمك يا (زيزو) .

وكاد (زيزو) يسأله عن سبب جهامته ، لولا أن فطنته سرعان ما أدركته بأن الأمر شأن خاص به هو وخطيبته ، وهو ما يؤكده جهامتها هى الأخرى وهى منكفئة على أوراقها .. ولم يملك (زيزو) إلا أن يتجاهل الأمر ، قائلاً له بنفس بشاشته :

ـ سأرسل لك بقهوتك حتى تفرغ (هيام) مما بيدها .

واستدار منصرفًا .

وجاءت القهوة .. وامتدت يد (أحمد) إلى علبة سجائره المستقرة أمامه مع (موبايله) فوق المكتب ، ليشعل سيجارة من سيجارة .. بدا فى هذه اللحظة فى ضعف عمره .. لم يكن قد جاوز التاسعة والعشرين من عمره .. خمريته وتقاطيع وجهه المتناسقة المريحة تعكس الوسامة المصرية الهادئة .. وهيئته وشخصيته المحترمة تعكسان أصله الطيب .. فهو من أبوين غاية فى الطيبة .. ولكن قدرهما فصلهما ، فاستقرت الأم مع ابنها فى (حلوان) ، واستقر الأب بمفرده فى (مدينة السلام) .. تمامًا مثل حال والدى (هيام) الطيبين أيضًا ، واللذيْن انفصلا منذ سنوات ليستقر كل منهما فى حى بعيد عن الآخر .. صارت الأسرة المصرية التى كانت مضربًا للمثل فى ترابطها ودفئها

شطرات مبعثرة لا يربطها رابط ، فتفشّى الإحساس باليتم والاغتراب والوحشة .. وما أمرّه من إحساس !!

وفى جملته كان (أحمد) شابًا محترمًا ناضجًا ، به حظ وفير من الرجولة وطيبة المعدن ..

شىء واحد فقط أخذه (أحمد) عن أبيه ، وصار شريانًا رئيسيًا مؤلمًا فى شخصيته .. جمود عاطفته .. جمود قلبه .. جفاف أحاسيسه .. وجدانه كله يشبه قطعة من صحراء جافة ليس فيها ما يروى أو يظلل .. الحب عنده مجرد كلمة تتردد فى الأفلام والأغانى .. كلمة لا يعرف لها مذاقًا ولا استخدامًا .. قد يكون هذا الحب موجودًا فى تكوينه .. ولكن أين ؟ وما فائدته ؟ وما استخدامه ؟

لا يعلم ..

وكلمة (رومانسية) فى نظره تبدو له كمصطلح غريب فى لغة أجنبية لا يعرفها ، ولا يهمه أن يعرفها .. ماذا تعنى همسة غزل منه فى أذن حبيبته ؟! ماذا تعنى تهنئة رقيقة لها بعيد ميلادها ؟! ماذا تعنى صحبتها فى نزهة حلوة ؟! أو مفاجأتها

بهدية بسيطة تسعدها ، ولو كانت وردة واحدة بثمن سيجارة من هذه التى لا يكف عن حرقها ؟

ماذا تعنى هذه الأشياء ؟!

كلها أشياء لا معنى لها فى قاموس حياته .. ذلك القاموس الذى لا يحوى سوى شيئين لا ثالث لهما .. العمل ، وبناء أسرة مثل كل الرجال .. أما الرفيقة التى تشاركه رفع هذا البناء على كاهلها ما هى إلا عمود أسمنتى .. وجوده ضرورى لرفع البناء ، ولكن الإحساس به معدوم .. الإحساس موجود .. ولكن لأشياء أخرى وناس آخرين ..

وهذا هو حال (أحمد) مع (هيام) ..

وهذه هى الوجيعة التى بدلت حالها ، وذهبت بإشراقة وجهها حينما سألها الأستاذ (نور) عن (أحمد) فى الصباح ..

وانتبه (أحمد) من شروده الواجم مع دخان سيجارته السابعة على صوت (هيام) :

ـ لقد فرغت ..

ونهضت ماضية إلى الحمّام لتعـود بعـد لحظـات قليلـة لـه بوجومها :

ـ هيّا بنا .

ومضت معه بعد أن لوّحت مودعة لـ (زيزو) و (شهيرة) .. توقف بها على بعد أمتار قليلة من النادى منادِيًا (تاكسى) يمر أمامهما :

ـ (بولاق الدكرور) ؟

وفوجئت (هيام) فأسرعت تسأله بدهشة أشبه بالصدمة :

ـ (بولاق) ؟!

وجاءها رده باقتضاب :

ـ نعم .. سأوصلك إلى البيت ، ثم أذهب إلى موعد لدى .

تحرك غيظها .. كانت تحسبه جاء ليصالحها ، ويعتذر لها عما فعله بها ليلة الأمس ، فإذا بـه يجىء ليزيدهـا كمدًا .. وجدت نفسها تقول له بغيظ مكظوم :

ـ (أحمد) .. أريد التحدث إليك .

وكان رده بصلف :

ـ أخبرتك بأننى لدىّ موعدٌ .

ـ مع الشلة ؟ أليس كذلك ؟

استفزه سؤالها :

ـ نعم .. مع الشلة .. ها ؟ هل نويت موشّحك الممل ؟

صفعتها الكلمة :

ـ موشّحى الممل ؟!

بينما مضى هو ، وكأنه لم يسمعها :

ـ ها .. هيا ابدئيه .. هيا ..

وراح يحدجها بنظرته الاستفزازية التى لا تُحتمل ، فلم تملك إلا أن تهتف فيه بغيظ جنونى مكظوم :

ـ (أحمد) !

وانفجر الفتى الجهم :

ـ نعم .. نعم ..

ـ اذهب إلى من تشاء ، ولكن لا تعد لى مرة أخرى .

فوجئ (أحمد) .. حدجها متسائلاً بذهوله :

- (هيام) ! ماذا تعنين ؟!

وجاءه الرد بمنتهى القرف :

- أعني ما سمعت .

واستدارت مهرولة ..

وأُسقط فى يد (أحمد) .. وتسمر فى مكانه مذهولاً .. فالساعة تجاوز الحادية عشرة ليلاً ، والخلاء الشتوى يجعل الشوارع غير آمنة فى مثل هذه الساعة .. وخطيبته تهرول مبتعدة عنه .. وسيارة ملاكى تخفض سرعتها تمامًا مقتربة منها .. وقائدها الحيوان يتحرش بها بألفاظٍ ما ، ويكاد يمسك بها من نافذة السيّارة ، لولا أنه فوجئ بـ (أحمد) منطلقًا نحوه ، صارخًا فيه بكل قوته :

- امشِ يا بن الكلب .

وفرت السيارة .. واستدار (أحمد) إلى (هيام) ، فإذا بها ترتجف ، وإذا بدموعها تلمع فى عينيها ، وإذا بعينيها تتعلقان به ، تدعوانه إلى ضمها فى حضنه ..

ليل ، وبرد ، وقلب رقيق جريح يهفو إلى ضمة حضن دافئة توقف رجفته ، وتسكت أنينه .. ولكن ليس (أحمد) من الصنف الذى يفعلها ، رغم تحرك قلبه وإحساسه بالذنب .. لديه قدرة عجيبة على المكابرة والتحكم فى مشاعره .. كل ما فعله أن أمسك بيدها ، واستدار مستوقفًا (تاكسى) .. مضى بها إلى كوفى شوب (العمدة) بشارع جامعة الدول العربية .. جلست أمامه تتأمله وهو يشعل سيجارته فى انتظار قهوته التى طلبها مع النسكافيه الذى تعشقه هى .. تزاحمت فى عينيها شلالات هادرة من المشاعر .. حب وعتاب ورجاء .. آه لو يعلم كم تحبه .. آه لو يعلم كم تحتاج إليه حبيبًا قبل أن يمنحها نفسه خطيبًا أو زوجًا .. آه لو يعلم كم تحتاج إلى قلبه ، لا إلى دبلة خطوبته أو قسيمة زواجه .. لو يعلم ذلك .. لو يراه .. لو يحسه .. لو يفهمه .. لوضعها فى عينيه ..

لمنحها كل قلبه ..

كل اهتمامه ..

وما أهملها لحظة ..

وما قدم عليها بشرًا ..

وما ترك فى عينيها دمعة ..

فى اللحظات التى تبلغ فيها علاقتهما شفا الانهيار يسارع بالاعتراف لها بحبه .. فقط فى هذه اللحظات !! ومع ذلك سرعان ما تهدم أفعاله اعترافه هذا .. ما فعله بها ليلة أمس لا يمكن أن يفعله محب بحبيبته .. لم يأتها فى نهاية اليوم ليأخذها من النادى كعادته .. اتصلت به ، فإذا (بموبايله) مغلقًا .. اتصلت فى المنزل فأخبرتها أمه بأنه لم يعد بعد .. عادت تحاول مع (الموبايل) دون جدوى .. اضطرت إلى العودة إلى منزلها بمفردها ، رغم وحشة الشوارع ليلاً فى هذا الجو الشتوى .. ومن هناك راحت تعاود محاولاتها للاتصال به دون جدوى .. زحفت الساعات حتى الثالثة صباحًا دون أن يتصل بها ، أو ينفتح تليفونه .. كادت تُجن من فرط قلقها عليه .. ولم تُفلح محاولات أمها فى تهدئتها .. هناك قبل أذان الفجر بدقائق فُتح (الموبايل) ، ليخبرها بمنتهى البرود بأنه كان فى سهرة مع أصدقائه فى (السايبر) .. وكان الانفجار منها ، والرد بمنتهى الصفاقة منه ، لتغلق تليفونها فى وجهه ، وتسقط فى حضن أمها منفجرة فى البكاء .. وكانت ليلة من لياليه المرة التى لا يكف عن إهدائها لها ..

متى يكفُ عن هذا ؟

متى يدرك أنها لا تستحق منه هذا ؟

متى يدرك أنها أولى الناس بحبه وباهتمامه ؟ متى ؟

وجدت نفسها تناديه بمنتهى الحب والرقة :

ـ حبيبى !

انتظر حتى وضع الجرسون المشروبات أمامهما وانصرف ، ثم أجابها :

ـ نعم ..

ـ ممكن أطلب منك طلبًا ؟

ـ طبعًا ..

ـ أشعرنى بحبك ..

ابتسم متعجبًا :

ـ وهل عندك شك فى حبى لك ؟

ـ لا طبعًا .. واثقة فى حبك لى ، ولكن أشعرنى به .

شىء من السخرية تسرب فى ابتسامته وفى نبرته :

ـ آه فهمت .. تعنين أسطوانات الحب ، والكلام الناعم ..

وراح يهز رأسه تعجبًا لسذاجتها ، ثم راح يتكرم بإفهامها :

ـ يا حبيبتى هـذه الأسطوانات يديرها الشاب لبنت يريد أن يضحك عليها .. له منها غرض .. أما أنت فخطيبتى ، وستكونين يومًا زوجتـى ، فهل أضحك على خطيبتـى التى ستكون يومـا زوجتى ؟

ودهشت (هيام) .. وانفلت منها سؤالها يحمل دهشتها :

ـ أتعنى أنه ما دمت أننى خطيبتك ، وسأكون زوجتك ، أنه لا لزوم ولا معنى لترديد كلام الحب بيننا ؟!

ـ طبعًا ؛ لأنه سيكون بلا معنى ومملاً .

وطفت دهشة الفتاة :

ـ مملاً ؟!

وكادت دهشتها كلها تنقلب إلى إحباط ... إحباط قد يصل بها إلى حد اليأس من هذا الإنسان .. وقد يدفعها إلـى الإسراع بمغادرة المكان بمفردها .. وربما إلى ما هو أسوأ ، وهو القذف بدبلتـه

فى وجهه .. ولكن كيف ؟ إنهما فى نكـد وغمٍ منـذ ليلتين .. ولم يأتيا إلى هنـا إلا لكى يخرجا من نكدهما وغمهما .. وهى نفسها صارت على وشك الموت من كثرة النكد .. إذن فلترحم نفسها ، وترحمـه هو أيضًا منـه .. لماذا لا تفعل إذا كان هـذا بيدها ؟

وإذا بالفتاة الفاتنة الذكية تسرع بنفض نفسها من إحباطها ، هاتفة فى حبيبها بانتعاش بهيج :

ـ (حمادة) !

وفوجئ (أحمد) بـانقلاب حال الفتاة على هذا النحو ، ولم يملك إلا أن يجيبها مندهشًا متبسمًا :

ـ نعم .

ـ قل لى (باحبك يا هيام) .

وازدادت دهشة (أحمد) ، فإذا بها تمسك بفنجان النسكافيه مكررة مطلبها :

ـ قل لى (باحبك) يا (حمادة) .. قلها وإلاَّ ...

ورفعت الفنجان فى يدها استعدادًا لقذفه بـه ، فلـم يملـك إلا الإسراع بالنطق :

ـ باحبك .. باحبك يا لاسعة .

* * *

الفصل الثالث

فتحت (هيام) عينيها ، وظلت ساهمة فى فراشها الأبيض للحظات .. وردة بيضاء نديـة تتلقى نـور صباحها الجديد بقلب أبيض برىء مُندًى بالحب .. بدا وجهها الشـاهى متوردًا مضيئًا بطيف تبسم حالم جميل .. ما الذى داعب خيالها وأضـاء وجهها بهذا التبسم الجميل ؟ الله أعلم .. أزاحت الغطاء عنها ، ونهضت خارجة إلى الصـالة ، فإذا بأمها تختتم صلاة الصبـح .. بادرتهـا (هيـام) بتبسمها الجميل :

ـ صباح الفل يا (نانسى) .. حرمًا ..

وأجابتها الأم وهى ترفع سجادة الصلاة عن الأرض :

ـ جمعًا يا (هيـام) .

ومضت (هيام) إلى الحمام .. كانت ترتدى بيجامة (كحلى) .. بياضها الناصع ، مع زرقة البيجامة الداكنة ، مـع سـواد شـعرها الناعم المنساب علـى ظهرها حتى خصرها ، مـع خفـة حركتها كلّهنّ جعلنها غـزالاً صغيرًا طريًا فاتنًا يهفـو له القلب .. لحظات وخرجت من الحمام على نداء أمها :

ـ (هيام) ! حبيبتك .

كانت (هيفاء وهبى) على شاشة التليفزيون تشعلها نارًا بأغنيتها (مش قادرة أستنى) .. وقفتا تشاهدانها باستمتاع غريب .. إنهما تعشقانها .. وذهبت (هيفاء) بلهيبها ، فالتفتت (هيام) إلى أمها :

ـ هيا يا (نانسى) .. اسبقينى إلى المطبخ ، وسألحق بك بعد أن أصلى .

انفلتت من عينى (نانسى) السوداوين نظرة احتجاج ، فما كان من (هيام) إلا أنها هتفت فيها بفرحتها العصفورية :

ـ هيّا يا (نانسى) .. (حمادة) قادم فى الطريق .

وكان رد (نانسى) محتجة :

ـ (حمادة) هذا لك أنتِ .

انفلتت ضحكة (هيام) الكروانية :

ـ ما هذا يا (نانسى) يا حبيبتى ؟ هل تريدين واحد (حمادة) لكِ أنتِ أيضًا ؟

أسرعت (نانسى) تنهرها :

ـ بنت !

وكان رد (هيام) متمادية فى شقاوتها :

ـ يا (نانسى) .. يا (نانسى) .. عينى فى عينك هكذا ؟

ووقفت أمامها تحدق فيها بمنتهى الشقاوة ، حتى همت (نانسى) بأن تقذفها (بريموت) التليفزيون الذى فى يدها ، لولا أن الغزال الصغير الشقى أسرع بالفرار إلى المطبخ ..

هكذا كانت (هيام) وأمها صديقتين أكثر من ابنة وأم .. صديقتين جمعهما الجمال والنقاء والروح الشبابية العاشقة للحياة .. فالأم لم تزل فى بداية الأربعينات من عمرها .. وهو سن الجمال الكامل عند المرأة .. وخاصة إذا كانت فى فتنة (نانسى) .. إنها بيضاء هيفاء مخروطة العود كغصن تفاح محمل بثماره الشهية التى لا تُقاوم .. وهى فى منتهى خفة الدم .. حتى إنه من يراها فى مرحها المتواصل ، لا يمكنه أن يمنحها سنًا أكثر من العشرين عامًا .. ومن النهاية هى أنثى

شهية فى عنفوان أنوثتها ، وذروة فتنتها .. من يصـــدق أن هذا الجمال كله يهجره رجل لا لسبب إلا لتعلقه ـ الزائد عن الحد ـ بإخوته ؟ وهو نفس ما يفعله (أحمد) بـ (هيام) الآن .. مع فارق واحد بسيط ، وهو استبدال الإخوة بالأصدقاء .. ها هو (أحمد) بمنتهى الغفلة يمزق كل خيوط الحب التى تربط (هيام) به خيطًا بعد خيط ، بسبب تعلقه المريض بأصدقائه ، ليس أكثر ..

وجاء (أحمد) .. وتلقته (هيام) بفرحتها وبسؤالها :

ـ أين وردتى ؟

دائمًا تطالبه بأن يأتيها بوردة بيضاء حين يكون قادمًا إليها .. إنها تموت فى الورد الأبيض .. يربطها به شىء ما هى نفسها لا تدريه .. إنه نقاؤها ورقتها المتناهية .. جاءها رد (أحمد) بلا مبالاة :

ـ نسيت .

زمت شفتيها فى إحباط ، وأخذته من يده إلى مائدة الطعام حيث كانت تجلس (نانسى) .. بادرها (أحمد) بلهجته الرصينة المهذبة :

ـ صباح الخير يا (ماما) .

ـ صباح النور يا (حمادة) .. اجلس !

وجلس (أحمد) ، وجلست (هيام) إلى جواره ، وراحوا يتناولون إفطارهم .. رفعت (هيام) قطعة (أومليت) بالشوكة ، مقتربة بها من شفتى حبيبها ، قائلة :

ـ كل من يدى يا حبيبى .

وكان رد حبيبها وهو يتراجع بفمه إلى الوراء :

ـ هأنا آكل يا (هيام) .

تراجعت يد (هيام) بالشوكة ، وانطفأ وجهها كسوفًا .. انفلتت من عينيها إلى عينى حبيبها نظرة عتاب جعلته يبتسم مشفقًا عليها من طفوليتها ، ثم يقول لها من باب الشفقة :

ـ هاتيها يا (هيام) !

وضعتها فى فمه ، ولكن دون فرحة ، مما جعله يهز رأسه متعجبًا :

ـ متى تكفين عن طريقتك الطفولية هذه ؟

كاد ينفلت منها رد ما ، ولكنها سارعت بابتلاعه وهى تبتسم إشفاقًا عليه من تركيبته ، بينما تدخلت (نانسى) قائلة لها فى حنو :

ـ كلى أنت يا (هيام) ، فقد تتأخرين فى المستشفى .

وأجابتها (هيام) بابتسامة رقيقة يطفئها الشجن :

ـ حاضر يا (نانسى) .

ورفعت لقمة (مربى) إلى فمها فى شرود شجى .

* * *

وانطلق التاكسى بـ (هيام) و (أحمد) قاصدًا مستشفى (ناصر) لأمراض القلب ؛ فاليوم موعد جلسة العلاج الأسبوعية لـ (هيام) .. إنها لا تحب هذا اليوم ، فهو يذكرها بأنها من أصحاب العلل ، ويغمرها فى جو المرض بكل غمه وكآبته .. التفتت إلى حبيبها الجالس إلى جوارها فى التاكسى ، وكأنها تريد أن تستعين به على طعم هذا اليوم .. فإذا بالحبيب يعيش مع دخان سيجارته .. عادت ترسل بنظراتها المطفأة أمامها ، لتتكالب عليها خواطر أمرّ من اليوم ذاته ..

لقد فتحت عينيها على الدنيا لتجد نفسها فى كنف أب عصبى ، لا حدود لعصبيته .. وعصبيته دائمًا على باطل .. إن كل اهتمامه ودخله وحياته لإخوته ، وإذا ما فاض الكيل بزوجته ، وفتحت فمها معترضة ، انفجر فيها هى وابنتهما كبركان مفزع ، حتى تفرا من أمامه مذعورتين ، وهكذا أحال حياتهما إلى قطعة من الجحيم ، حتى رحمهما الله بانفصاله عنهما ، واختياره لحياة العزوبية بعيدًا عنهما .. ورغم الهزة النفسية التى أصابتهما فى بداية هجره لهما كامرأتين رقيقتين لا سند لهما سواه ، ورغم ما خلّفه وراءه من فراغ موحش ، إلا أنهما ما لبثتا أن شعرتا بقدر كبير من السكينة ، وهدوء البال ، بعد أن غاب عنهما الشجار الموصول ، وخمدت نيران العصبية التى كانت تلتهم أعصابهما بلا رحمة .. ولكنهما سرعان ما اكتشفتا أن هذا الهدوء ، لم يكن سوى الهدوء الذى يسبق العاصفة .. فلم تكد تمضى بهما أشهر معدودات ، حتى وجدتا نفسيهما فى مواجهة مريعة مع ما هو أفظع وأمرّ آلاف وآلاف المرات من وليهما الذى هجر .. فيروس لعين لم يجد له وطنًا ولا مأوى سوى قلب (هيام) الرقيق ، فحطّ به رحاله ، ثم انطلق ينهش فيه فى سعار مجنون ، وكأنه جاء لينتقم لذنب

مجهول لا تدريه المسكينة .. وكأن القدر يؤكدها لهما : لا راحة ، ولا أمان ..

قدرهما هكذا ! فماذا تملكان حياله غير الصبر . والتشبث برقبة الحياة حتى يرضى عنهما ؟! ومن هنا راحت الفتاة الرقيقة تصارع مع الأطباء لكبح جماح فيروس الموت المنطلق فى قلبها .. فهل سينجحون ؟

هكذا مضى التاكسى بالمسكينة وهى مخطوفة بخواطرها التى تغم .. بينما نظراتها المخنوقة مرسلة أمامها فى غيبة تامة عن الدنيا وما فيها ، حتى وجدت نفسها تنتبه على هتفة حبيبها يسألها بمنتهى الحدة والقسوة :

ـ (هيام) ! ماذا هناك ؟

التفتت إليه مندهشة :

ـ ماذا يا حبيبى ؟!

ـ لملمى عينيك هاتين !

فوجئت الفتاة .. أسرعت تنظر أمامها ، لترى ما الذى ضايقه بنظراتها إليه . فلم تجد شيئاً بعينه . همت بأن تسأله ، ولكنها فجأة فطنت . فقد وقعت عيناها على السائق المنهمك فى قيادة السيارة .. كان شاباً وسيماً استقرت عيناه فى المرآة التى أمامه .. هذا هو إذن ... لقد ظن (أحمد) أنها تبادله النظرات فى المرآة .. وجدت نفسها تلتفت إلى حبيبها تحدجه فى صدمة وعتاب شديد . فإذا برده بنفس حدته :

ـ اخفضى عينيك !

وصعقت (هيام) ، بينما أسرع هو يشيح عنها بوجهه الغاضب ، تاركها غارقة فى صدمتها ، لا تدرى ماذا تفعل أو تقول ، حتى لمعت الدموع فى عينيها .. وكان هذا هو تخفيفه عنها فى يوم كهذا !!

وبلغا المستشفى .. وتمددت الفتاة على طاولة الكشف أمام الدكتور (رمزى) طبيبها العجوز المشرف على علاجها من بداية المرض .. وراح الطبيب يفحصها فحصه الدورى ، قبل أن يقوم بتوصيل صدرها بجهاز موصول بكمبيوتر ، ليظهر قلبها

علـى شاشـته .. وقـف أمامـه يلقـى عليـه بنظـرة طويلـة ، فـإذا بالإحباط يطفح على وجهه .. لستدار إلى مريضته الممددة ، قـائلاً لها بهدونه المخنوق بإحباطه :

ـ تعالى يا (هيام) .

نـهضت مريضتـه ، تتبعـه إلـى مكتبـه ، حيث جلسـت أمامـه ، وهو يطالع ملفها الطبى ، حتى رفع عينيه إليها متسـائلاً :

ـ ألا تواظبين على العلاج يا (هيام) ؟

ـ بلى يا دكتور .

رفع الطبيب نظارته عن عينيه . وراح يرمقهـا بنظـرة أسـى ، فهمت الفتاة ما وراءها ، فكان سؤالها فى غم :

ـ حالتى تسوء يا دكتور ، أليس كذلك ؟

طغى الأسى فى نظرة الطبيب إليها ، وطفح فـى نبرتـه ، وهـو يجيبها :

ـ يا (هيام) يا بنتى .. سبق وقلت لك إن حـالتك النفسـية لهـا دور كبير جدًا فى مقاومتك للمرض .. أنا عارف أنه لا أحد يخلو

من الهموم ، ولكن إذا كان جزء كبير من شفائك يتوقف على تخلصك من هذه الهموم بقدر المستطاع ، فلمـاذا لا تسـاعدين نفسك ؟

وسكت الطبيب متطلعًا إليها بمرارتـه فـى انتظـار جوابهـا ، ولكنه لم يتلق منها سوى الصمت .. لقد همت بأن تفتح له قلبها ، ولكن كبرياءهـا لـم يطاوعهـا .. اكتفت بـأن تطرق إلـى الأرض بنظراتها المخنوقـة ، حتـى انتبهـت علـى صـوت الطبيـب وهـو ينهض :

ـ هيا بنا إلى الجلسة ..

وخرجت (هيام) مـن جلسـة العلاج مجهـدة شاحبة الوجه ، ليتلقاها (أحمد) الذى كـان ينتظرهـا فـى اسـتراحة العيـادة ، متسائلاً بهدونه الجاف :

ـ ما الذى أخّرك هكذا ؟

تأملته بنظرة تزاحم فيها الأنين والمرارة والعتاب ، ثم أجابته :

ـ الدكتور كان يتكلم معى ـ هيا بنا ـ

ومضيا معًا ، ومـا أن خـرجا من بـاب المستشفى ، حتى رن موبايل (أحمد) .. أجـاب محدثه ، ثم أغلق التليفـون قائـلاً لـ (هيام) :

ـ يريدونني في الشركة .. سأوقف لك تاكسيًا ..

ووضعها في تاكسي لينطلق بها ، بينما قلبها يتقصد مرارة .

* * *

الفصل الرابع

اليوم تتعانق الشمس والقمر في قلب (هيام) ..

اليوم تتفجّر في قلبها كل ينابيع الفرحة ..

اليوم ترتسم في عينيها كل روائع الألوان ..

فاليوم يُنشر لهـا أول ديوان شعر .. جاءها الأستاذ (نور) بنسخة منـه .. كاد يغشى عليها من الفرحة والدهشـة ، وهي تحدق في اسمها وصورتها على الغلاف غير مصدقة عينيها .. ثم رفعت عينيها تحدق بهما في الأستاذ متسائلة :

ـ معقول يا أستاذ (نور) ؟!

وابتسم الأستاذ لدهشتها وفرحتها :

ـ مبروك يا حضرة الشاعرة الجميلة .

وانقلبت سؤال (هيام) ذاهلاً :

ـ شاعرة ؟!

ـ نعم شاعرة يا (هيام) .. وديوانك هـذا معروض الآن فى المكتبات ، ومُعلن عنه بالصحف .

وطغت دهشة (هيام) إلى ذروتها .. وعادت تحـدق فـى الديوان غير مصدقة نفسها .. وأقبل (زيزو) مداعبًا :

ـ مساء الفل على أديبنا ووردتنا .

وأسرعت (هيام) تجيبه هاتفة بفرحتها ، وهى تمد يدها لـه بالديوان :

ـ أرأيت يا (زيزو) ؟! أرأيت ؟!

وتناول (زيزو) الديوان منها .. وفوجئ بالاسم والصورة ، فإذا بفرحته لا تكاد تقل عن فرحة (هيام) .. أسرع يحدق فيهـا بفرحته الطاغية :

ـ مبروك يا (هيام) .. مليون مبروك .

وانفلت سؤال (هيام) :

ـ أنت مصدق يا (زيزو) ؟!

ـ طبعًا مصدق يا (هيام) .

وراح يحلق بنظراته المبتهجة على وجهها ، قائلاً :

ـ هذه الرقة والعذوبة لا يمكن أن تكون إلا لشاعرة .

وابتسم الأستاذ (نور) لغزله الجميل ، وانتبـه (زيزو) إلـى نفسه ، فأسرع يسأل الأستاذ :

ـ أليس هذا هو رأى حضرتك أنت أيضًا يا أستاذنا ؟

وكان رد الأستاذ باسمًا :

ـ طبعًا يا (زيزو) .. لقد نطقت بما فى قلبى .

ولمح (زيزو) نسخة أخرى من الديوان على مـائدة الأستاذ ، فإذا به يسارع باختطافها بفرحة ، هاتفًا :

ـ هذه النسخة لى بعد إذن الأستاذ .

ـ بل هى لـ (حمادة) حبيبى .

هكذا انفلت الجـواب من (هيـام) وهى تختطف النسـخة من يد (زيزو) .. ولم تنتبـه الفتـاة إلـى مـا حدث ، فقد تسـمرت الابتسامة على شفتى (زيزو) ، وانفلتت من عينيه نظرة عتـاب حزينـة ، ضاعت فى خضم فرحـة الفتـاة ، والتـى التفتـت إلـى

الأستاذ (نور) تستأذنه فى الانصراف .. أسرعت تطلب خطيبها فى (الموبايل) ، فـإذا به على سلم النادى .. أقبل عليهم مصافحا ، بينما تلقته (هيام) هاتفة بذروة فرحتها ، وهى تمد يدها له بالديوان :

- (حمادة) حبيبى .. انظر !

ألقى (أحمد) نظرة على الكتاب ، متسائلاً :

- ما هذا ؟

أشارت إلى اسمها وصورتها .

- انظر !

نظر ، ومع ذلك بدا وكأنه لم يفهم ، فأردفت هى بفرحتها :

- حبيبتك صارت شاعرة رسميًا .

انفلتت ابتسامة (أحمد) ساخرة :

- شاعرة ؟!

وأردف وهو يرد لها الكتاب :

- هيا بنا .

والتفت إلى الأستاذ (نور) و (زيزو) يستأذنهما ، واستدار منصرفًا ، بينما (هيام) متسمرة فى مكانها ، لا تعرف حتى إلى أين تنظر .. تحول بركان فرحتها إلى كوم رماد غشى كل حواسها ..

انتبهت على صوت (أحمد) يناديها مندهشًا :

- (هيام) .

نظرت إليه بصدمتها وذهولها ، بينما عاد هو يهتف بها :

- ماذا بك يا فتاة ؟ هيّا .

التفتت إلى الأستاذ (نور) و (زيزو) تستأذنهما ، ثم مضت بقلبها المطفأ ، ليتلقاها (أحمد) متسائلاً :

- ما الأمر يا (هيام) ؟

تطلعت إليه بنظرة طويلة مختنقة بتساؤلات وصرخات ، وبأشياء أخرى كثيرة لم يفهم منها شيئًا .. وجد نفسه يتفرسها فى دهشة من أمرها ، وكأنه ملّ من تكرار سؤاله عما بها .. ولكن (هيام) ما كانت فى حاجة لتكراره ..

كانت فى حاجة لأن تخرج من بين رماد مشاعرها المحترقـة . فأسرعت تفعل .. أسرعت ترمم ابتسامتها فوق شفتيها قائلة له :

ـ تحت أمرك يا حبيبى .

ـ عيد ميلاد صديقى (إبراهيم) الليلة .. أنسيت ؟

أسرعت تجيبه بابتسامتها المرسومة :

ـ لا يا حبيبى .. لم أنس .. حالاً سأستأذن مـن مديـر النـادى وأمضى معك .

دقائق وكانــت تغــادر النادى فى ذراعــه . وقد نسيت أمر الديوان تمامًا .. شــعور جميل يملؤها حين يتركها تتأبطـه .. شـعور بالأمــان . وبأنهـا فى حمـاية رجـل قـوى .. حرمانها مـن أبيهـا ومـن أخ لهـا ضـاعف مـن هذا الشعور . وأكسبه طعمًا خاصًا لديهـا .. ضغطت نفسـها فى ذراعـه مستدفئة بـه . وهى تسـأله :

ـ حبيبى .. ممكن نذهب إلى المنزل دقائق ؟

ـ لماذا ؟

ـ يعنى .. أبدل هيئتى هذه .

وجاءها الرد خاطفًا :

ـ أنت جيدة هكذا .

وأسرع يستوقف تاكسيًا ، لتجد نفسها فى وضع لا تحسد عليه فى الحفـل .. كل الفتيـات فى ذروة فتنتهن بأناقتهن وزينتهـن ، إلا هى بثيابها البسيطة ، ومجرد آثار لمكياجها الذى بهت من طول سـاعات العمـل بالنـادى .. كـاد شعورها بالمـرارة يعزلهـا عن المحتفلين ، لولا أنها سـارعت بـوأده فى مهده ، وسارعت بالاندماج معهم .

وانفض الحفـل ، لينتحى (أحمـد) بـ (هيام) جانبًا ، قـائلاً لهـا :

ـ (هيام) ! سأذهب مع أصدقائى فى مشوار صغير .

فوجئت (هيام) :

ـ وتتركنى هنا وحدى ؟

وكان رده بمنتهى الهدوء :

ـ معك والدا (إبراهيم) .

نظرت فى ساعتها وكأنها ترجوه :

ـ الساعة ١١ يا (أحمد) .

ـ لن أتأخر عليك أكثر من نصف ساعة .

ولم يعطها الفرصة لكلمة أخرى ، استدار ماضيًا مع أصدقائه . تاركها مع والدى صديقه المسنين .

* * *

نصف الساعة امتد إلى أكثـر مـن ثلاث ساعات .. و(هيـام) بمفردهـا مـع الزوجين المسنين ، لينفجر ذهولها مـن سـخافة الموقف .. اتصلت بـ (أحمد) ما يقـرب من عشر مرات . وفى كل مرة يجيبهـا بأنه فى الطريق إليهـا .. من الثانية عشرة إلى ما بعد الثانية صباحًا وهـو فى الطـريق إليهـا !! ووالـدا صديقه المسنان يغالبان النعاس حتى غلبهمـا وهما يجلسان معها . لتجد نفسها فى أسخف موقف عاشته فـى حياتها .. وللمرة الرابعة راحت تجيب أمها على (الموبايل) بأن (أحمد) لم يعد بعد ، وهـى خائفة من النزول بمفردها إلى الشارع فى هـذا الوقت المتـأخر ، ولكن الأم لم تملك فى النهاية إلا أن تصرخ فى ابنتها بأن تنزل ..

ونزلت الابنة .. كانت الساعة تقارب الثالثـة فجرًا .. ومنطقـة مساكن الشروق بأكملها تكاد تبدو ككوكب مهجـور معتم .. فقد خلت شوارعها تمامًا مـن أى أثر للحيـاة بفعل صقيع (طوبـة) الذى لا يُحتمل .. لتجد الفتاة نفسها تمضى وحيـدة فـى الشـوارع المخيفة بكل وحشتها وخوائها .. لا تاكسى ، ولا مارة ، ولا أثـر لأى ونس .. بلغت الطريق الخلفى للنادى الأهلى ، فإذا بـه أيضًـا خاويًا رغم ضخامته .. انفجر خوفها كله دفعة واحدة ، فـاندفعت تهرول محتمية بسور النـادى ، وكأنها تفر مـن مجهول مفزع يطاردهـا .. فجأة شق السكون صوت سيارة قادمـة .. توقفـت متطلعة إليهـا فـى لهفـة ، فـإذا بهـا سيارة ملاكـى تخفـض مـن سرعتها .. عادت تواصل ركضهـا ، فـإذا بالسيارة تلحق بهـا ، وإذا بصوت قائدها :

ـ ماذا هنالك يا آنسة ؟

لم تتوقف ، ولم تلتفت إليه ، فإذا بالرجل يهتف فيها :

ـ قفى يا آنسة .. قفى !

توقفت ملتفتة إليـــه وهى ترتعـد خـوفًا ، فـإذا بـه رجل مسن ، وإذا به ينزل من السيارة مقتربًا منها ، وهو يقول لها فى حنـــو :

ـ لا تخافى يا بنتى .. لا تخافى .. أنا كما ترين فى سن والـدك ، وربما فى سن جدك . فلا تخافى .

وجدت نفسها تتطلع إليه وهى ترتجف ، بينما عاد هو يسألها :

ـ ماذا هناك ؟

أجابته وأسنانها تصطك ببعضها من شدة الصقيع :

ـ لا شيء .. فقط كنت فى زيارة أقاربى وتأخر بى الوقت .

ـ وأين تقيمين ؟

ـ فى (بولاق الدكرور) .

ـ يااه !

وأسرع يخلع معطفه من فوقه ليدثرها به قائلاً :

ـ لا تخافى .

تعلقت عيناها بـه ، وقد انسابت منهما الدمـوع ، فكـان رد الرجل الطيب على نظراتها ودموعها التى تمزق القلب :

ـ لا تخافى يا حبيبتى .. أنا مثل والـدك ، ولـن أتركك إلا فـى منزلك .. تعالى !

وبمنتهى الحنو أخذها الرجل الطيـب من يدهـا ، وأركبهـا إلـى جواره فى السيارة ، ماضيًا بها إلى مسكنها ، لتسقط فـى حضـن أمها منفجرة فى البكاء ، بينما الأم تردد ساخطة :

ـ حسبى الله ونعم الوكيل .. حسبى الله ونعم الوكيل .

* * *

الفصل الخامس

فوجئ (أحمـد) بجـواب (نانسـى) بمجرد أن فتحت بـاب الشـقة :

ـ (هيام) سافرت !

لم تكن المفاجأة فقط فى جوابها ، بل كانت فى عدم دعوته إلى الدخول ، وفى السخط الطافح من عينيها .. وجد نفسـه يسألها مندهشًا :

ـ سافرت إلى أين ؟ ومتى ؟

وجاءه الرد مزيدًا من السخط فى نظرتها ، مما زاده دهشة :

ـ ماذا هنـاك يـا مامـا ؟ لا هى فـى النـادى ، وتليفونها مغلق ، وتقولين إنها مسافرة ، وفى عينيك نظرة غريبة .. ماذا هناك ؟!

كادت تبصق على وجهـه غيظًا وكمدًا ، لـولا تعقلهـا .. ولكـن عينيهـا فعلتاهـا ، مسحتاه مـن أعـلاه إلـى أسفله بنظرة احتقـار لاذعة ، جعلته يهتف فيها بنفاد صبر :

ـ ماما ؟ ما الحكاية ؟!

وكان ردها بمنتهى القرف :

ـ الحكاية أننى أريد أن أنام .

وضربتـه الإهانـة بمنتهـى العنـف .. وجد نفسـه يحـدق فيهـا متسائلاً بذهوله :

ـ ما هذا ؟! أتطردينني يا ماما ؟!

وكان ردها بسخطها ، ويدها تحرك الباب فى وجهه :

ـ لو سمحت .

وأسقط فى يده ، أطرق إلـى الأرض بنظـرة ذهـول ، ثـم عـاد يتطلّع إليها ، فإذا بنظرتها تنذره بما لا يُحمد عقباه .. فلم يملك إلا أن يستدير بذهوله وصدمته ..

طـوال طريقـه إلى مقهى (أم كلثـوم) بوسـط المدينة ـ ملتقاه الدائم بشلته ـ وهو يكابد صدمته ، ويتساءل عن لغز ما يحدث .. كل ما يتذكره هو أنه نسى نفسه أمام (النت) ، ونسى تليفونه مغلقًا كعادته كلما دخل (السايبر) ، وعندما فرغ من سهرة (الشـات) تذكر (هيـام) عند والدى صديقه ، ولكنـه سرعان مـا خطر لـه أنهـا مـن المـؤكـد عـادت إلى المنـزل عنـدما شعرت بتـأخره عليهـا . فـلا داعى لأن يزعجهـا بالاتصال أو بالذهـاب إليهـا فـى

هـذا الوقت المتأخر من الليل .. وفى الصباح سوف يطمئن عليها .. فما الذى حدث إذن لكل هذا ؟! اختفاؤها الغريب ، وهذه المعاملة الأكثر غرابة من أمها يوحيان بأن ثمة مصيبة وقعت .. فما هى ؟ مؤكد الجواب عند (هيام) .. ولكن أين هى ؟

أسبوعان وهو يقلب الدنيا عليها .. فى النادى .. لدى أقاربها .. لدى صديقاتها .. وفى كل مكان يخطر له تواجدها فيه ، دون جدوى .. وفى كل ذلك (موبايله) لا ينزل عن أذنه .. والجواب لا يتغير : (مغلق) .. حتى كاد الفتى يُجن .. وجد نفسه يعود إلى (نانسى) بعصبية انتحارية .. اقتحم عليها الشقة وهو يهتف بها :

ـ لن أتزحزح من هنا خطوة قبل أن أعرف أين هى .

همت بأن ترفع سماعة التليفون بصدمتها ، فإذا به يعاود هتافه ، وهو متسمر فى مكانه :

ـ أبلغى البوليس .. اضربينى .. اقتلينى .. افعلى بى ما تشائين ، ولكن دعينى أرها ولو لدقيقة واحدة .

وفوجئت (نانسى) بموقف الفتى ، وفوجئت أكثر بدموعه تلمع فى عينيه .. كانت هيئته وحالته تثيران الشفقة ، مما جعل قلبها يكاد يرق له ، ولكن منظر ابنتها وهى تدخل عليها منهارة قرب الفجر قفز أمام عينيها فجأة ، ليجعلها تفيق إلى نفسها بسرعة ، وتجيبه فى غِلّ :

ـ اخرج من هنا !

وصُدم الفتى .. أطبق عليه اليأس ، فكاد يقدم على فعلة مجنونة ، لولا أن دق تليفون المنزل ، فأسرعت المرأة ترد ، فإذا به يدرك من ردها أن المكالمة من (هيام) .. فقفز إلى المرأة ، خاطفًا من يدها السماعة ، صارخًا فيها :

ـ (هيام) ـ أنا (أحمد) يا (هيام) .. أنا (أحمد) .. أين أنـ ......

وانقطع صراخه فجأة ، فقد أغلق الخط .. جمدته الصدمة فى مكانه ، بينما راحت (نانسى) تحدق فيه بسخطها وقد بلغ ذروته .. خطر لها بأن تطلب أبويه تليفونيًا ليتصرفا معه ، ولكنها قبل أن تقدم على تنفيذ فكرتها كانت قد خطرت له هو أيضًا فكرة جهنمية ، جعلته ينطلق جريًا مغادرًا الشقة .. دخل على صديق له يعمل بسنترال (الجيزة) ، طالبًا منه العنوان

الذى جاءت منه المكالمة .. وفى لحظات كان العنوان فى يده .. انطلق إليه ليكتشف أنه عنوان خالة (هيام) .. ومن الخالة انكشف له اللغز .. علم بجريمته .. بأسود ليلة أهداها للمسكينة التى ربطها حظها العاثر به .. وكادت الصدمة تذهب بعقله .. لم يكن يدرى أنه بغبائه كاد يتسبب فى كارثة لا علاج لها ، لولا ستر الله .. ظل لأكثر من ربع ساعة جامدًا فى مقعده ، ونظراته الذاهلة مدفونة فى الأرض ، وكأن جريمته كسرت عنقه .. ولكنه فى النهاية رفع عينيه عن الأرض ليسأل الخالة فى نبرة ذليلة :

- وأين هى الآن ؟!

وحدجته الخالة بنظرة مرارة . ثم أشارت بعينيها إلى إحدى الغرف .. فنهض متجهًا إليها وهو مطحون بصدمته ، ليفاجأ بفتاته جالسة فوق سجادة الصلاة ، سارحة ببصرها فى حزن أطفأ وجهها تمامًا .. رفعت عينيها إليه بنظرة ينشق لها الجبل . أدرك على الفور أنها أنبوب مضغوط على حافة الانفجار ، وعليه أن يتحسب لذلك جيدًا ، وإلا انقضى أمله تمامًا فى استعادتها . جلس على حافة الفراش ، مشعلاً لنفسه سيجارة فى هدوء .. وقرأته الفتاة بفطنة الأنثى .. وأدركت أنه يجاهد فى استجماع كل قدراته لاحتوائها ..

انفلتت منها إيماءة تعجب من ثقته الدائمة فى أنها له .. مهما حدث منه هى له .. هذه هى أزمتها الحقيقية معه .. اطمئنانه المطلق إلى امتلاكه لها .. المسألة إذن من ناحيته تملك وليست حبًا .. قالتها له مرارًا : « لا حياة لى بدونك » ، وتلقفها هو منها محتفظًا بها وديعة بين مسلّماته ، وها هى تجنى ريع وديعتها ..

اطمئنانه المطلق بأنها له ، مهما حدث منه هى له .. فلا تلومن إلا نفسها ..

رددتها لنفسها بمرارة أقرب إلى الندم ، ثم نهضت رافعة سجادة الصلاة من فوق الأرض .. طوتها ووضعتها على حافة الفراش فى هدوء ، ثم جلست قبالته تتأمله مليًا بقلبها المحتقن غمًا ، بينما راح هو يجيبها بنظرة حيرة هادرة أشبه بالاستغاثة ، كان ردها عليها بهدوء يطوى غمها ومرارتها :

- خير يا (أحمد) ؟

لم يزحزح عينيه عن وجهها .. تركته يقول بهما ما يشاء ، ثم عادت تكرر سؤالها :

- خير يا (أحمد) ؟

أدرك أن حديث العينيـن ذهـب أدراج الريـاح ، فـأطرق إلـى الأرض بنظرة اختناق ، وبمنتهى الانكسار أجابها :

ـ من الآخر يا (هيام) اطلبى فى حقك ما تشائين .

تدبرت كلماته لوهلة ، دون أن تزحزح عينيها عن وجهـه ، لتجد نفسها تسأله فى هدوء :

ـ وتنفذ ؟

ـ دون مناقشة .

ـ كلمة شرف ؟

ـ كلمة شرف .

ودون أن تسحب نظراتها من فوق وجهه ، مدت يدها متناولـة حقيبتها من فوق (الكومودينو) المجـاور ، لتخرج منهـا علبـة مجوهرات ، مدت يدها بها إليه قائلة :

ـ تفضل !

حدّق فى العلبة ، متسائلاً :

ـ ما هذا ؟

ـ شبكتك كاملة .

شقته الصدمة :

ـ (هيام) !

ـ أعطيتنى كلمة شرف .

« ما هذا ؟ » رددها داخل نفسـه وهو يحدق فيها مبهوتـا .. شعر وكأن حفرة سحيقة فتحت فاها فجأة وابتلعته ، بل هى التـى أسقطته فيها .. كيف ؟ لا يدرى .. ظلـت عينـاه معلقتين بعينيها فى ذهول كاد يتحول إلى دموع ، فأسرع بمغادرة الغرفة ، تاركًا يدها معلقة فى الهواء بعلبة المجوهرات .

* * *

الفصل السادس

الأيام تمر على العاشق جريح القلب كأنها قطار يهرسه بمنتهى البطء .. لا هو يقتله فيريحه ، ولا هو يجلو من فوقه فيعتقه ، وكأنه يتلذذ بتعذيبه وأنينه ..

تحولت أيام (هيام) ولياليها إلى مساحات موصولة من العذاب .. عذاب قلب نُزعت منه قبضة لحم فصار مكانها تجويفًا يسيل دمًا ، فأى عذاب هذا الذى يكتوى به صاحبه ؟!

وقبضة اللحم التى انتزعت هنا هى (أحمد) .. والتجويف الذى ينزف دمًا هو مكان (أحمد) .. والقلب الذى يكتوى بكل هذا العذاب هو قلب (هيام) .. قلب فى رقة قلوب العصافير .. قلب مفطوم على الحب .. حب الخير والجمال والناس والحياة .. قلب لا يحتمل شكة دبوس ، فما بالنا بانتزاع قبضة لحم منه ؟! إذن لا شفاء من هذا العذاب إلا بعودة تلك القبضة التى تحمل الحياة ، ووصلها بوطنها الأم ..

وجدت (هيام) نفسها ترنو إلى موبايلها بعد ثمانية أيام من انقطاع رنة (أحمد) .. ها هو القلب الأبيض يصفو .. كل

المآسى تتوارى مع قطار الأيام الماضى ، ولا يبقى منها سوى آثار تتوارى أيضًا مع المزيد من مضى الأيام ..

ها هو الحنين يتحرك فى قلب (هيام) ، فترنو العين إلى (الموبايل) فى حنين إلى أحب رقم لديها .. رقم ساكن القلب الغائب .

عجيبة غيبته هذه !

هل صدَّق حقًّا أنها لا تريده ؟!

أنها تستطيع الاستغناء عنه ؟!

والحياة بدونه ؟!

هل صدَّق هذا ؟!

وحتى لو صدَّق ..

فهل سلَّم بهذا ؟!

(أحمد) ؟!

كيف ؟!

إنه أبدًا ليس من الصنف الذى يستسلم بهذه السهولة .. من أبرز شيمه تمسكه الجبار بممتلكاته .. يخيَّل لمن يعرفه عن قرب

أن الموت أهون لديه من فقده لملكية يحوزها .. وهى فى النهاية لا يمكنها الفرار من حقيقة اعتباره لها إحدى ممتلكاته .. ثم إن هذه ليست أول أزمة تفصلهما ، وفى كل مرة كان يستميت فى استعادتها ، وكان ينجح - وكان هذا فى الحقيقة يزيدها إعجابًا خفيًا به ، فقد كان يزيدها يقينًا بأنه رجل قوى .. فما الذى حدث له هذه المرة ؟ صحيح أنها وضعته فى موقف صعب بانتزاع كلمة شرف منه بأن يتركها ..

ولكن ولو ..

هل هو بالسذاجة بحيث لم يفطن إلى أن طلبها هذا لم يكن سوى ثأر لحظى لكرامتها .. وهو من الأصل جاء يومها لإرضاء كرامتها .. لو كان يفهم لزادها إرضاء بتمسكه بها مهما صدّته ، ولكنه غبى لا يفهم الأنثى ..

الساعات تزحف ..

والأيام تزحف ..

و(الموبايل) لا ينطق برنة ساكن القلب الغائب ..

ماذا أصابه ؟!

أتطلبه هى ؟

وفوجئت الفتاة بالسؤال ، فإذا بها تنتفض ، وإذا بالجواب يتردد سريعًا فى داخلها بمنتهى الاستنكار والانفعال : « لا .. لا » .. وأسرعت بوضع الموبايل فوق جريدة أخبار الحوادث المستقرة فوق الكومودينو ، وإذا بعينيها تقعان على شىء ما .. صورة (أحمد) تتصدر غلاف الجريدة يعلوها مانشيت ضخم : « هذا الشاب أنقذ أسرة كاملة من الاحتراق » .. رفعت الجريدة فى يدها محدقة فى الصورة والخبر غير مصدقة عينيها .. فتحت الجريدة تنظر فى تفاصيل الخبر ، فإذا به (أحمد هاشم) فعلاً .. انطلقت تجرى بعينيها على السطور التى تحكى شجاعة ومروءة الشاب الذى ألقى بنفسه فى النار ، لينقذ أمًا وأطفالها الأربعة من حريق شقتهم قبل أن تدركهم المطافئ ، وليستقر هو فى المستشفى مصابًا ببعض الحروق ..

ياااااه ...

مليون طن من المشاعر هبط فوق رأس (هيام) وفوق عقلها وقلبها وكل كيانها .. مشاعر لا تعرف لها وصفًا ولا مسمًى غَمَرَتْهَا غمرًا .. وجدت نفسها تحدق فى صورة فتاها

بمنتهى الانفعال ، وكأنها تريده أن ينطق ، أو يتحرك ، أو يخـرج إليها من بين الأخبار ، كى ينتشلها من طوفان مشاعرها ..

ولكن .. من الذى فى حاجة إلى من الآن ؟

هو الذى فى أمسّ الحاجة إليها ..

وجدت نفسها تهتف بكل ما فى قلبها من نبض :

ـ حبيبى !

وفى لحظات كانت تنطلق مغادرة الشقة كالسهم المارق ، غير ملتفتة لنداءات خالتها ..

وفوجئ بها (أحمد) واقفة بباب غرفته بالمستشفى ، تحدق فيه بذلك المليون طن من المشاعر .. كان يرقد فى فراشه ، ليس به سوى بعض الحروق البسيطة فى يديه وقدميه .. وكان سارحًا ببصره فى سقف الغرفة ، حين فوجئ بها متسمرة بالباب ! انبثقت فرحة العمر فى وجهه حتى استحال بلّورة ساطعة من الفرحة الخالصة ، بينما تعلقت عيناه بها غير مصدّق ـ وحينما صدّق ..

وحينما انتبه إلى أن وقفتها قد طالت ، وجد نفسه يبتسم فاتحًا ذراعيه ، قائلاً لها :

ـ لا تقفى مثل المسمار .

ووثبت فى حضنه ، بينما أغمض هو عينيه على حياته التى عادت .

* * *

الفصل السابع

لا ليل إلاّ ويعقبه نهار .. ونور الفجر لِمَن طال عليه الليل أحلى من حلاوة الروح .. وحينما يبزغ الفجر على معذّب الليل ، ينطلق الأخير ينهل من هذا النور بشراهة جنونية ، وكأنّه ينهل من رحيق الحياة من بعد كأس الموت .

هكذا راحت (هيام) تفعل .. اندفعت تغتنم كل لحظة لها مع حبيبها في ري قلبها .. هذا القلب الذي لا يقبل قوتًا ولا شرابًا سوى الحب .

أخذته من يده بمجرد مغادرته المستشفى ، وانطلقت به في ربوع الحياة ..

نزهات ..

رحلات ..

سهرات ..

اشرب أيها القلب الرقيق ، فقد قسا عليك الظمأ ..

وبدا (أحمد) وكأنّه يستميت في التكفير عن ذنبه من ناحية ، وفي إثبات أنّه تغيّر وتفهّم من ناحية أخرى .. وبدت (هيام) وكأنّها تجاهد لاغتنام الفرصة بتجاهل أي شيء يعكر صفوها مع حبيبها ..

حتى مرضها ذاته ..

ففي أول جلسة علاج لها بعد خروج حبيب قلبها من المستشفى ، صدمها طبيبها بخبر في منتهى القسوة .. دمها كله يحتاج إلى تغيير .. نتيجة منطقية لليالي السوداء التي عاشتها في صدامها الأخير بحبيبها .. دمها كله احترق ، وعجز القلب العليل عن تعويضها بدم جديد غيره ..

إذن فلابد من تغيير دمها كله فورًا ، وإلا تعرضت حياتها للخطر .. وليت الأمر توقف عند هذه الصدمة فقط .. الصدمة الأكبر أن تكلفة العملية لا تقل عن العشرين ألف جنيه !!

من أين ؟

الأدوية المستمرة تستنزفها ، ولم تترك لها من شقاء خمس سنوات فى النادى سوى ألفى جنيه ، كانت تدخرها لجهازها ، و(أحمد) ينفق كل دخله على تجهيز الشقة وتأثيثها ..

مادت بها الأرض وهى تصغى إلى الطبيب .. ازدادت يقينًا بأن القدر لن يفك قبضته عنها .. أنه يترصدها وكأنها غريمة له .. ألا يعلم كم هى ضعيفة ، ولا تحتمل ضغطه هذا !!

ها هو الشيطان يهم بأن يلعب برأسها .. انتبهت له ، فأسرعت تستغفر ربها - وحينما خرجت إلى حبيبها الذى كان فى انتظارها بإستراحة العيادة ، كانت ابتسامتها الحلوة تشرق فى وجهها كشمس الربيع .. تأبطته قائلة له :

- أيمكننا أن نخطف زيارة إلى خالتى ؟ أريد أن أشكرها على حسن ضيافتها لى .

داعبها وهو يخرج بها من بوابة المستشفى :

- أنفى يشم رائحة شيء آخر غير الشكر ..

وكان ردها مداعبة :

- سأحاول حجز أسبوعين آخرين لديها لقضيتنا القادمة .

التفت إليها ضاحكًا ، متأملاً وجهها بنظرة باسمة :

- بعينك .. لن أغضبك مرة أخرى .

تلقت دعابته بسعادة ، قائلة :

- سنرى .

وانطلق بهما التاكسى ، لتتلقاهما الخالة الطيبة بترحاب وسعادة - وضمتهم معًا جلسة جميلة دافئة ، أضفى عليها (وائل) ابن الخالة جوًا بهيجًا بخفة ظله المتناهية .. شاب وسيم يقارب (هيام) فى السن ، ويعاملها بتلقائية شديدة جعلت مزاحه ودعاباته لها لا تنقطع طوال الجلسة ..

وتحرك شيطان الغيرة داخل (أحمد) .. من الطبيعى أن يتململ الشيطان ضيقًا بصفو أى حبيبين ، ويتحين الفرصة لتعكيره .. وها هو قد وجدها هنا - تحرك وراح يلعب بعقل (أحمد) حتى طفح الاختناق على وجهه من مداعبات (وائل) لـ (هيام) ، ولكنه راح يجاهد فى كبح جماح شيطانه حتى نهضت (هيام) بصينية الشاى ، ماضية بها إلى المطبخ كى

تغسلها قبل أن تنصرف .. وبتلقائية لحق بها (وائل) بأطباق بقايا الحلوى التي كانت أمامهم على المنضدة .. وراح الاثنان يتعاونان فى غسل الأطباق والأكواب ، حتى شقت صرخة (أحمد) آذانهما :

ـ (هيام) !

وسقط الكوب الذى كان فى يد الفتاة على الأرض من الصرخة ، وقفزت إلى حبيبها فى الصالة ، فإذا به يخطفها من يدها ، وينطلق بها مغادرًا الشقة ، تاركًا الخالة وابنها جامدين فى مكانيهما من الصدمة .. وأمام العمارة أسرع بوضع الفتاة فى تاكسى قائلاً لها بغلٍّ رهيب :

ـ لا تريني وجهك مرّة أخرى !

وصرخ في السائق :

ـ امشِ !

وانطلق السائق بسيارته مذعورًا ، بينما طار عقل (هيام) من الصدمة ومن الذهول .. أسرعت ترن على الفتى من

موبايلها ، فإذا به يغلق التليفون فى وجهها .. أسرع السائق يسألها بذهوله وذعره هو الآخر :

ـ إلى أين يا آنسة ؟!

تلفتت حولها مذهولة لا تعرف بماذا تجيبه ، فإذا بالتاكسى يمر أمام النادى ، أسرعت تجيبه :

ـ هنا .. أنزلنى هنا !

دخلت النادى وهى تترنح .. ولمحها (زيزو) فوق السلم ، فأسرع يرتقى درجاته قفزًا ، ليتلقاها بيديه ، متسائلاً فى انزعاج :

ـ (هيام) ! ماذا بك ؟

وأجابته الفتاة بصعوبة :

ـ متعبة من جلسة العلاج .

مضى بها إلى مكتبها ، وهو يلاطفها بدعاباته الرقيقة محاولاً شد أزرها .. أجلسها خلف المكتب ، قائلاً لها :

ـ حالاً سأحضر لك كوب حليب ساخن ..

وانطلق إلى البوفيه .. لحظات وعاد بكوب الحليب ، وضعه بين يديها ، قائلاً :

ـ ثانية واحدة .

وانطلق مهرولاً ، ليرتد إليها سريعًا بشيء في يده . جعل ابتسامتها الربيعية الفاتنة تشرق في وجهها .. وردة بيضاء اقتطفها من أشجار الورد التي تعتلي سور النادي . ناولها لها قائلاً بخفوته العذب :

ـ صباح الورد على أجمل وأرق وردة في الكون .

وخفق قلب الفتاة الجميلة . وانفلتت من عينيها السوداوين الفاتنتين نظرة خافقة على وجه الفتى الجميل الرقيق ، لم تملك بعدها إلاَّ أن تجيبه قائلة كالحالمة :

ـ يا لك من سلوان جميل يا (زيزو) !

حلّق بنظراته الباسمة الحلوة على وجهها القمري ، قائلاً :

ـ لا شيء في الوجود أجمل من الوردة البيضاء .

كان يقصدها هي لا الوردة التي في يدها ، مما جعل ابتسامتها تزداد جمالاً وإشراقًا . وهمت بأن تجيبه بشيء ، فإذا بالجواب يأتيه من حيث لا يتوقعان بالمرة !

ـ شكرًا على هذه المجاملة الرقيقة يا سي (زيزو) .

وتسمرت نظرات الاثنين على (أحمد) ، وقد وقف بينهما يحدجهما بنظرة ساخرة . جلس بعدها أمام المكتب واضعًا ساقًا فوق ساق ، وراح يشعل سيجارة لنفسه ، لينفث دخانها في وجه (زيزو) ، ثم يقول له بمنتهى العنجهية :

ـ هيّا يا سي (زيزو) امسح هذا المكتب ، ثم ائتني بقهوتي .

وفوجئ (زيزو) . والتفت إلى (هيام) متسائلاً . فإذا بها مندهشة مثله ، وإذا بـ (أحمد) هو الذي يجيبه بنفس عنجهيته وسخريته :

ـ ماذا يا (زيزو) أفندي ؟ هل طلبت منك شيئًا غريبًا ؟

وأدرك (زيزو) أن (أحمد) غير طبيعي ، فأسرع يتمالك نفسه . قبل أن يجيبه في أدب ، محاولاً تمرير الموقف :

- لا يا أستاذ (أحمد) .. أنا تحت أمرك .

فإذا برد (أحمد) ، وقد طغت عنجهيته إلى حد لا يحتمل :

- طبعًا يا حبيبي تحت أمرى .. ألست أنا عضوًا هنا فى النادى وأنت لست أكثر من خادمٍ فيه ؟

وصَعق (زيزو) ، بينما انطلقت هتفة (هيام) بمنتهى الغضب والعصبية :

- (أحمد) !

ودوت قذيفة (أحمد) فى وجهها :

- اخرسى !

وفَغرَ فم الفتاة ، وراحت تحدق فيه مبهوتة ، فإذا به يجهز عليها تمامًا :

- كلمة واحدة أخرى ، سأسحبك من شعرك حتى البيت .

- لا تستطيع !

هكذا جاءه الرد ، قذيفة مضادة مدوية ، ولم تكن صاحبتها سوى (شهيرة) ، والتى انشقت عنها الأرض فجأة ، ليفاجأ بها (أحمد) منتصبة فى وجهه بمنتهى التحدى والغضب ، فلم يشعر بنفسه وهو ينهض مبهوتًا محدقًا فيها ، ومتسائلاً بِجَمِّ ذهوله :

- ماذا تقولين يا شاطرة ؟

وإذا برد (شهيرة) بنفس القوة والتحدى :

- ما سمعته يا أستاذ .. وليتك ترحمها وتنصرف الآن .

وصرع الذهول كيان (أحمد) :

- ماذا ؟! أتطردينني يا فتاة ؟!

وكان رد (شهيرة) بمنتهى القرف :

- يا رجل ! يا رجل ! أهذا هو تخفيفك عنها وهى عائدة من المستشفى ؟ أهذا هو حضنك الذى يعينها على مرضها ؟ أهذه هى وقفتك معها فى شدتها ؟ أين

الإحساس يا رجل ؟ دعك من كونها خطيبتك .. اعتبرها واحدة غريبة ، ولكنها مريضة ، وفى حاجة إلى الرحمة ، فهل هذه هى رحمتك ؟ أين النخوة ؟ أم ضاعت هى الأخرى مع إحساسك ؟

وابل من النيران راح يحصد أعصاب (أحمد) ، منتهيًا بهذه القذيفة التى فتكت بآخر عقدة فى رباطة جأشه ، فكانت انتفاضته الجنونية ، يريد الانقضاض على (شهيرة) ، فإذا به يصطدم بقامة الأستاذ (سيد الروبى) ، وقد انتصب أمامه ببنيانه القوى ، وبنظراته الغاضبة المريعة .. إنه أقدم أعضاء النادى ، وأكبرهم مكانة ومهابة ، وهو ما جعل البعض من أعضاء النادى والعاملين به يصفونه بالديكتاتورية ، ولكنها فى الحقيقة لم تكن ديكتاتورية بقدر ما كانت اعتزاز المحامى الناجح المثقف بنفسه وبكبريائه .. لقد سمع الرجل الحوار كاملاً بين الأطراف الأربعة من مجلسه أمام التليفزيون القريب منهم ، ولكنه لم يشأ أن يتدخل فيه باعتباره شأنًا خاصًا بهم ، ولكن حينما بلغ الأمر من

(أحمد) هذا الحد وجد نفسه مضطرًا للتدخل .. وفوجئ به (أحمد) يقول له بلهجة آمرة قاطعة :

- اخرج من هنا !

وصعق (أحمد) ، وتحركت شفتاه تريدان النطق بشىء ، فإذا بالأستاذ (سيد) يقطع عليه الطريق فى حسم مريع ينذر بكارثة :

- لن أكررها !

وفى لمح البصر كان مدير النادى وأعوانه من أمن النادى يحيطون بـ (أحمد) فى تحفز ..

وأسقط فى يد (أحمد) ..

ووجد نفسه يلتفت إلى (هيام) بذهوله ، فإذا بها أكثر ذهولاً منه .. إنها لا تستطيع رد كلمة الأستاذ (سيد) الذى هو فى مكانة والدها ، ثم إنه تدخل لأجلها ، فكيف تحرجه ؟! وهى فى الوقت ذاته انشق قلبها لإهانة حبيبها ، ولموقفه الصعب الذى وضع نفسه فيه بغبائه .. كيف بلغ الأمر هذا الحد ؟! راحت تحدق فى حبيبها بكل ذهولها ، ثم التفتت إلى الأستاذ (سيد

الروبى) تريد أن تسترحمه كى يتراجع عن موقفه .. ولكن كان من الواضح أن زمام الأمر قد انفلت ، ولم يعد يصلح فيه تراجع .. عادت بعينيها الذاهلتين إلى حبيبها ، فإذا به يتفرسها بعينين متقدتين بالغل والوعيد ، فازدادت انهيارًا . ولم تعد تدرى ماذا تفعل أو تقول .. وأطبق الصمت والترقب على الجميع ، وهم يحدقون فى (أحمد) ، وقد شعروا وكأنهم فى موقف خانق لانهاية له .. ولكن فجأة ظهر من ينهيه .. الأستاذ (نور) .. تقدم من (أحمد) ، قائلاً له بأدبه الجم :

- تفضل معى يا أستاذ (أحمد) .

وبدا (أحمد) وكأنه أمسك بطوق نجاة .. التفت إلى الأستاذ (نور) بنظرة طويلة ، ثم استدار منصرفًا معه .. ولكنه قبل أن يستدير كان قد خلع دبلة الخطوبة من أصبعه ، قاذفًا بها فى وجه (هيام) .

* * *

الفصل الثامن

عشرة أيام و (هيام) تبحث عن حبيبها ، ولا أثر له .. لا هو مع أحد من والديه ، ولا لدى أحد من أصدقائه أو أقاربه .. فص ملح وذاب .. ومع اختفائه اختفت الحياة من موبايله .. أغلقه أو غير الخط .. الله أعلم .. عشرة أيام زحفت بالمسكينة وكأنها الدهر بأسره .. لا نوم ، ولا طعام ، ولا حتى عمل بالنادى .. لا شىء سوى الدموع ، وأنين القلب العليل ، والسعى فى الشوارع بحثًا عن الحبيب الغاضب الغائب ، حتى كادت روحها تزهق من فرط الغم والإجهاد واليأس ، لولا أن جاءها الغيث فجأة فى مكالمة تليفونية من أحد أصدقائه ، يخبرها بأن حبيبها موجود لديه ..

وطارت الفتاة المسهدة بلهفة جنونية تكاد توقف قلبها .. دخلت عليه فى شقة صديقه ، فإذا به جالس واضعًا ساقًا على ساق ، وسيجارته فى فمه ، وعيناه مرفوعتان إليهما تتلقيانها بعنجهيته المحفورة فيه ، وبنظرة شماتة تكاد تحرقها

حرقًا .. ولكن الحبيبة الملتاعة لم تر شيئًا من ذلك .. لم تر عنجهيته ، ولا شماتته ، ولا معاجته .. لم تر سوى حبيب قلبها الذى عثرت عليه كقطرة غيث تحمل معها كل الحياة ..

تسمرت أمامه تحدق فيه بطوفان منفجر من الفرحة واللهفة والعتاب .. لم تنبس ببنت شفة من شدة انفجارهن معًا ، مما دفع الصديق الذى فتح لها باب الشقة إلى الابتسام ، متسائلاً :

ـ ما هذا يا (هيام) ؟ أهذا هو سلامك ؟!

والتقطتها (هيام) منه ، فإذا بها تقفز فوق يد حبيبها تغمرها بالقبلات وبدموع الفرحة ، وبانفعال محموم حبس الكلمات فى حلقها ، وجعل دموعها تجرى على خديها ، متساقطة على يده .. كل ذلك والحبيب كما هو فى مقعده ، لا يتحرك له ساكن .. فقط تسمرت عيناه عليها ، حتى رفعت عينيها نحوه منادية عليه بدموعها :

ـ حبيبى !

وأجابها حبيبها .. بمنتهى البرود :

ـ ليس هنا ، بل فى النادى .. أمام نفس الناس الذين طردونى ..

وكان رد الفتاة بأسرع من البرق :

ـ بل أمام العالم كله إن شئت .. يا قرة العين .

وأسرعت تختطفه من يده ، منطلقة به صوب النادى .. وفى دقائق كان (أحمد) يجلس فى النادى ، نفس جلسته العنجهية .. الساق فوق الساق ، والسيجارة فى فمه ، والنظرة المتعالية مرسلة من عينيه إلى الأمام ، بينما (هيام) واقفة أمامه ، تنادى (زيزو) و (شهيرة) والأستاذ (نور) والأستاذ (سيد الروبى) ، ومدير النادى ، وموظفى الأمن .. وجاء على ندائها بقية العاملين بالنادى ، حتى إذا ما اكتمل الجمع ، أسرعت (هيام) تخاطبهم جميعًا ، قائلة :

- يا حضرات .. أمامكم جميعًا أعترف بأننى أخطأت فى حق خطيبى وحبيبى الأستاذ (أحمد هاشم) ، وأمامكم جميعًا أتوسل إليه أن يسامحنى .

وراحت الفتاة تدور بعينيها الدامعتين على الواقفين جميعًا ، ثم إذا بها تستدير نحو حبيبها الجالس فى مقعده ، وتنزل أمامه على ركبتيها ، منحنية على يده تقبلها بالدموع ، بينما العيون تحدق فيها مذهولة فى صمت مطبق ، وكان أكثر الشاهدين ذهولاً (زيزو) ، لقد صُدم بهذا الهوان الذى لا تقبله كرامة ولا إنسانية ، ودوّت فى أعماقه صرخة ساخطة مستنكرة : « ما هذا الذى تفعلينه يا (هيام) ؟ »

وانفلتت من عينيه نظرة غضب التهمت الفتاة الراكعة على ركبتيها ، ولكن الفتاة لم تكن معه ، ولا مع أحد من الواقفين .. كانت فقط مع حبيبها .. رفعت وجهها نحوه لترى إذا ما كان رضى عنها ، أم يريد المزيد .. وجاءها جواب الحبيب .. مد يده بسيجارته إلى المنفضة التى أمامه ، وراح يطفئها فيها بمنتهى البرود ، ثم نهض واقفًا مطلاً على الفتاة من أعلى بنظرة احتقار ، رفع بعدها عينيه إلى الواقفين ، وراح يدور بهما

عليهم جميعًا بنظرة تعالٍ وابتسامة سخرية ، ثم استدار منصرفًا بمنتهى البرود والعنجهية ، تاركًا الجميع جامدين فى أماكنهم كأعجاز نخل ، وتاركًا الفتاة مكوّمة على الأرض فاقدة الحراك .

* * *

واستقر جسد (هيام) فى العناية المركزة موصلاً بكافة الأجهزة الطبية الحديثة التى تعينه على التشبث بالحياة .. بدت بجسدها النحيل ، وبوجهها الرقيق الشاحب المستسلم للغيبوبة ، وكأنها عصفور رقيق ضعيف وقع فى شباك صياد بغيض لا يرحم .. ولم يكن الصياد هنا سوى الفيروس اللعين الذى انتهز فرصة انهيار مقاومتها ، وانطلق يستبيح قلبها الطرى بشراهة الشياطين .. وها هى المسكينة مستسلمة له تمامًا وهو يسحبها إلى غياهب الهلاك التى لا رجعة منها .. لم يكن أحد معها فى الغرفة فى هذه اللحظات القاسية ، ومع ذلك لم تكن وحيدة ، فخارج الغرفة .. خلف الفاصل الزجاجى الضخم ، كانت ثمة عينان تحتضنانها ، وهما تذرفان الدموع الساخنة فى صمت حزين .. عينا (زيزو)

الذى وقف خلف الفاصل الزجاجى يحتضن وردتـه السـاكنة فى فراشـها مغمضـة العينين . كملاك رقيق مسالم سكن البرزخ الفاصل بين الحياة والموت .. وقف يحتضنها بعينيـه وبقلبـه وبروحه ، وبكل ذرة فى كيانه .. لم تكن عيناه هما اللتان تبكيان فى هذه اللحظات . بل كان قلبه ..

قلبه المغلق على حب نبيل وعظيم لـ (هيام) !!

نعم حب ..

حب غُرست بذرته فى قلبه من عند الله منذ أيامهمـا الأولى فى النادى . ثم راحت الفتاة الرقيقة ترويها برقتها وبحنانها وبطيبة قلبها على مدى خمس سنوات هى عمر زمالتهما فى النادى ، حتى صارت البذرة شجرة تملأ القلب أغصانًا وثمارًا وظلالاً يحيا القلب على نعيمها .. ولكن النعيم كان على موعد مع القدر ليبدله شقاءً مقيمًا قاسيًا .. ففى اليوم الذى استجمع فيه (زيـزو) شجاعته ، وقرر أن يبوح لحبيبته بما فى قلبه . فوجـئ بالحبيبة تقبل عليه بكل فرحة الدنيا لتخبره بخطبتها لـ (أحمد) .. لحظتها سمع (زيـزو) آهة قلبه مدوية تشق كيانـه .. وشعر

بنور الدنيا ينطفئ فى عينيه ، ومع ذلك لا يدرى كيف وجد نفسه يبتسم لها مهنئًا ..

ولو أن الحبيبة لحظتها خرجت لوهلة واحـدة من أطياف فرحتها ، ودققت النظر فى عينى زميلها ، لروّعتها صرخة الصدمة التى شقت قلبه وكيانه .. ولكنها لم تخرج ، ولم تر . ولم تسمع .. بل تركته جامدًا فى مكانه بصدمته ، وانطلقت توزع فرحتها على كل من يصادفها .. ولم تكن تدرى أنها الفرحة التى تحمل فى طياتها الهلاك المحقق الذى قادها إلى هنا الآن .

ساعـات مضـت و (زيـزو) واقف أمام الفاصل الزجاجى محتضنًا للحبيبة ـ المستسلمة تمامًا لغيبوبتها ـ بعينيه الدامعتين .. حتى أشـفقت عليـه أمهـا ، والتى كانت تجلس بمقعد خلفه تبتهل إلى الله أن يترفق بهـا وبوحيدتها ، فنهضت تسحبه من يده لتجلسه بجوارها .. ووجدت نفسها تسأله بدموعها هى أيضًا :

ـ أتحبها إلى هذا الحد يا (زيزو) ؟

ورفع (زيزو) عينيه نحوها ليجيبها ، فإذا بدموعه تغلبه ، وإذا به يرتمى فى حضنها منفجرًا فى البكاء .

* * *

وفى غرفة مكتبه راح الدكتور (رمزى) يهز رأسه فى أسى وهو يجلس إلى مكتبه ، ثم رفع وجهه إلى الجالسين أمامه . الأستاذ (نور) و(سيد الروبى) و (شهيرة) قائلاً لهم :

ـ هذا ما كنت أخشاه .. دخلت فى مرحلة حرجة .

أطرق الجميع غمًا ، ولكن (سيد الروبى) ما لبث أن رفع وجهه إلى الطبيب قائلاً :

ـ دكتور (رمزى) ! إذا كان علاجها يحتاج إلى إمكانيات طبية معينة ، فنحن مستعدون لنقلها إلى أحدث مستشفى فى (مصر) .

وكان رد الطبيب فى هدوء :

ـ لن يقدموا لها أكثر مما نقدمه لها نحن هنا .. ثم إننى طبيبها المشرف على حالتها من بدايتها .

أسرع الأستاذ (نور) يتدخل بأدبه الجم :

ـ عفوًا يا دكتور .. الأستاذ (سيد) لم يقصد مطلقًا التقليل من كفاءة حضرتك ، ولكنه فقط يتحدث عن إمكانيات المستشفى .

عاد الأسى إلى نبرة الطبيب :

ـ لم يعد الأمر فى حاجة إلى إمكانيات يا أستاذ (نور) ، بل إلى معجزة من السماء .

هنا وجدت (شهيرة) نفسها ترفع عينيها إلى أعلى مغمغمة بالدموع :

ـ يا رب ..

وانكفأت بوجهها على يدها منخرطة فى البكاء ، مما جعل الأستاذ (نور) ينهض شاكرًا الطبيب ، ومستأذنًا فى الانصراف .. مضى مع رفيقيه إلى العناية المركزة ، ليجدوا (زيزو)

و(نانسى) واقفين أمـام الفـاصل الزجـاجى .. وقفـوا معهمـا يحتضنون الفتاة الغائبة عن الدنيا بعيـون يملؤهـا الحب والحزن والدموع ، حتى التفتت (شهيرة) إلى (زيزو) ممسكة بيده :

- هيا يا (زيزو) .

وكان رد (زيزو) دون أن يرفع عينيه الدامعتين عن وردته :

- سأبقى هنا .

- لن يسمحوا لك ، فالساعة الآن تجاوز العاشرة ليلاً .

- لن أتركها وحدها .

تدخل الأستاذ (نور) :

- الله معها يا (زيزو) .. هيا معنا ، وعد إليهـا فـى الصباح .. وجودك هنا الآن ممنوع .

التفت (زيزو) إلى الأستاذ (نور) ليجيبه بشـىء مـا ، فإذا بـ (نانسى) هى التى تربت عليه ، قائلة :

- هيا يا (زيزو) .. سنأتيها غدًا أنا وأنت .. هيا نصلى لأجلها .

وأخذت بيده بمنتهى الحنو ، فمضى معهم ، وهو من خطوة لأخرى يلتفت إلى الخلف ، متشبثًا بعينيه وبقلبه وبروحه .. بـوردته الساكنة فى فراشها حتى غادر بوابـة المستشفى .. عاد إلى منزلـه وكأنه لم يعد .. فلا طعام ولا شراب ولا نوم .. جلس القرفصـاء فى فراشه ذاهل الخاطر ، ترتع فى أعماقه تساؤلاته الحيرى .. لماذا أنت يا (هيام) دون سواكِ ؟! لمـاذا أنت مـن دون بنات العـالم التى يحدث لهـا هـذا ؟! لمـاذا حظك العـاثر فـى أبيك ؟! ثم فـى حبيبك ؟ ثم فى صحتك ؟! لمـاذا ؟! لمـاذا ؟! هـا هـو العـالم يعج بفتيات ينعمن بكل هذا وأكثر .. ينعمن بـالأب وبـالحب وبالصحة وبالسعادة .. ها هُنَّ الفتيات فى كل مكان يمرحن ويفرحن ويحببن ويتدللن ، ويملأن الدنيا بهجة وفرحة .. فلمـاذا أنت من دونهن جميعًا التى حط عليك القدر هكذا ؟! أية حكمـة لـه فى هذا ؟! أية حكمة ؟!

وكاد السؤال المؤلم ينطلق من أعماق الفتى ومن فمه صرخـة مدوية تشق سكون الليل ، لولا أن دخل أبوه فى هذه اللحظة .. رجل طيب تقى مثقف .. فوجئ بجلسة ابنه هكذا فى هذه الساعة التـى

تقارب أذان الفجر ، وباحتقان وجهه وكأنـــه يحتضر ، وبشروده عن الدنيا وما فيها وكأنه مخطوف فى عالم آخر .. أسرع يناديـه بانزعاج وهو يجلس إلى جواره :

- (زيزو) !

وانتبه (زيزو) على صوت أبيه .. التفت إليه بعينين تختنقان بكل حزن العالم ، وأجابه فى شبه ذهول :

- نعم يا بابا .

- ماذا هناك يا بنى ؟!

تعلقت عينا الفتى بأبيه للحظة قبل أن يجيبه بذهوله :

- (هيـام) يا بابا - (هيـام) تموت فى المستشفى .

أطرق الرجل حزنًا :

- لا حول ولا قوة إلا بالله .

ولكنه ما لبث أن انتبه على سؤال ابنه الذاهل :

- لماذا يا بابا ؟

- ماذا تعنى يا بنى ؟

- لماذا هى من دون بنات العالم ؟

وفهم الأب .. أسرع يستغفر الله ، ثم يرد على ابنه بانزعـاج وتحذير :

- (زيزو) يا بنى .. إنه الشيطان !

وإذا بالفتى ينتفض من الفراش فى عصبية :

- الشيطان ؟! الشيطان هو الذى أتعسها فى أبيها ؟! هو الـذى أتعسها فى حبيبها ؟! هو الـذى أمرضها ؟! الشيطان هـو الـذى فعل بها كل هذا ؟!

وازداد الرجل انزعاجًا ، هب واقفًا هاتفًا فى ابنه بانفعال :

- (زيزو) يا بنى ! (زيزو) !

ولم يهدأ الفتى :

- نعم يا بابا .. نعم .. أنـا فقط أريد أن أفهم .. أليس مـن حقى أن أفهم ؟ ألم يهبنا الله العقل كى نفهم ؟

- وهى ليست معضلة يا بنى .

- ماذا تكون إذن ؟

- بلاء .

- بلاء ؟!

- نعم يا بنى بلاء .. بلاء من الله .. ولو أنك كنت تعلم ثواب العبد الصابر على البلاء ، لعلمت كم يحب الله هذا العبد ، حتى إنه اصطفاه بهذا البلاء .

- وهل مـن الرحمـة أن يحطّ بلاء بهـذه القسـوة على بنت ضعيفة كهذه ؟!

وانفلتت هتفة الأب عصبية مستنكرة :

- وهل أنت أرحم بها من ربها ؟ ماذا دهاك يا بنى ؟

وهمّ (زيزو) بـأن يرد بانفعاله ، ولكن الرجل أسرع يكبح جماحه :

- اهدأ يا بنى ! اهدأ !

وأمسك الرجل عن الكلام لبرهة ، مانحًا الفرصة لابنه ولنفسه أيضًا كى يهدأا ، ثم دنا منه يسأله فى حنو :

- هـل سبق لك يا (زيزو) أن سمعت بصـانع هانـت عليه صنعته ؟ بفلاح هانت عليه زرعته ؟ بشاعر هانت عليه قصيدته ؟ هـل سبق لـك أن سـمعت بشـىء من ذلك يا بنـى ؟ أجبنـى من فضلك .

وأجابه الابن بإيماءة نفى ، فكان سؤال الرجل له :

- إذن فكيف سيهون الإنسان على ربه الذى خلقـه عن حب ؟ وباهى به ملائـكته ؟ ورفعه على سائر خلقه ؟

وأُسقط فى يد الشيطان اللعين الذى جاء محاولاً اصطياد الفتـى الطيب ، وإذا بأذان الفجر يرتفع قادمًا مـن كافـة مساجد الحـى ، فلم يملك اللعين إلا أن يتولى مدبرًا ، تاركًا (زيزو) يستغفر ربه بالدموع ، بينما أبوه يقول له بمنتهى الحنو :

- هيا بنا يا (زيزو) .. هيا بنا نصلى ، وندعو لها .

* * *

الفصل التاسع

انطلقت صرخة (زيزو) مدوية وهو يقفز من التاكسى :

ـ (أحمدااااااد) !

كان (أحمد) يسير فوق رصيف شارع الجلاء مختنقًا شارد الذهن حين فوجئ بالصرخة ، وبـ (زيزو) مندفعًا نحوه غير مبالٍ بالسيارات المندفعة بنهر الطريق ، حتى انقض عليه مطبقًا على عنقه ، صارخًا فيه :

ـ أخيرًا وقعت فى يدى يا بن الـ ...

وشلت المفاجأة (أحمد) ، بينما اندفع (زيزو) يصرخ فيه ، وهو يخنقه :

ـ من ثمانية أيام وأنا أبحث عنك .

وبصعوبة ، وبصوت متحشرج ، وهو يحاول تحرير رقبته من قبضتيه ، سأله (أحمد) :

ـ ماذا هناك يا مجنون ؟

وجاءه جواب (زيزو) بمنتهى السخط والغيظ :

ـ ألا تعرف ماذا هناك ؟ هناك ضحية لغشمك .

وكانت روح (أحمد) تزهق بين قبضتى الفتى الغاضب ، فلم يجد مفرًا من إنقاذ نفسه ، انطلقت منه لكمة كالقذيفة فى بطن (زيزو) ، أطاحت به على الأرض وهو يصرخ ألمًا .. وكانت فرصة لـ (أحمد) ليجهز عليه ، ولكنه لم يفعل ، بل راح يحدق فى الفتى المطروح على الأرض ، وهو يلهث فى ألم من أثر خنقه فيه ، حتى إذا ما استطاع النطق ، انفجر صارخًا فى الناس الذين تجمهروا حولهما :

ـ هيا أنت وهو .. هيا .. إنه أخى .

وانفض الناس ، فالتفت (أحمد) إلى (زيزو) يسأله :

ـ ماذا فعلت لك ؟

وكان رد (زيزو) وهو ينهض ممسكًا ببطنه :

ـ ليتك فعلت فىّ أنا .. ليتك قتلتنى أنا .

وفهم (أحمد) ، فإذا بالغم يطفح على وجهه حتى كاد يصميه .. أطرق مبعثرًا نظراته المخنوقة على الأرض ، وهو يردد فى ذهول وندم :

- بل ليتنى أنا الذى مت قبل أن أفعل بها هذا .. أنا حتى الآن لا أدرى كيف فعلته .. كيف ذبحتها بهذه البشاعة ؟! كيف أعمانى الشيطان فملأنى غِلاً منها يوم أن طردتمونى من النادى أمامها ؟ كيف صوَر لى الأمر على أنها كانت سببًا فى كسر نفسى أمامكم وعلىَّ أن أكسر نفسها ؟

وانفلت سؤال (زيزو) بمنتهى السخرية :

- وهل كسرتها أم كسرت نفسك أنت ؟!

وألجمت القذيفة (أحمد) ، فكانت فرصة لـ (زيزو) كى يفش غليله فيه :

- هذا الشيطان الذى تتكلم عنه أعماك وصوَر لك كل هذا ، ولم يصور لك ما فعلته أنت بها منذ أن وضعت دبلتك فى أصبعها ؟ لم يصور لك نفسك وأنت تكسر نفسها بمناسبة وبدون مناسبة ؟ لم يصوّر لك نفسك وأنت تحطم قلبها العليل يومًا بعد يوم ؟

وأنت تطفئ الحياة فى قلبها وفى عينيها حتى جعلتها بلا حول ولا قوة ؟ شيطانك صور لك كل هذا فى موقف أنت الذى وضعتها فيه ، ولم يصور لك أنك أنت الذى جعلتها عاجزة فيه ؟ جعلك ترى عجزها فى موقف سخيف من صنعك ، وأعماك عن تجبرك عليها طيلة سبعة أشهر ؟

وطغى قرف (زيزو) حتى كاد يمسك بعنقه مرة أخرى ، وهو يردف له :

- يا أخى .. يا أخى .. الحيوانات ذاتها لا تخلو قلوبها من الرحمة ، فكيف خلا قلبك أنت منها ؟!

ولم يحتملها (أحمد) ، صرخ فيه :

- كفى .. كفى يا (زيزو) .. ارحمنى .

وفوجئ (زيزو) !

- أرحمك ؟!

وانفلتت ابتسامته الساخرة ، مردفًا :

- أنت الذى تطلب الرحمة ؟

وإذا برد (أحمد) فى اختناق ينذر بالانفجار :

- نعم أنا الذى أطلبها .. ألست إنسانًا من لحم ودم ؟ أنت لا تعرف ماذا يجرى بداخلى من يومها - من يومها لم أنم ساعة واحدة .. لم أضع لقمة تسند فى معدتى .. لم أكمل يومًا فى مكتبى .. إحساسى بالذنب يكاد يقتلنى .. كل يوم أقرر الذهاب إليها ، لأطلب منها أن تسامحنى ، ولكن خوفى من رد فعلها يمنعنى .. ليلة أمس ظللت أحوم حول منزلها حتى الحادية عشرة ليلاً ، ثم انصرفت دون أن أجرؤ على الصعود إليها ..

وانقطع صوت (أحمد) .. فقد انسابت دموعه تخنق الكلمات فى حلقه .. وفوجئ (زيزو) :

- أتبكى ؟! أنت ؟!

ولم يسمعه (أحمد) .. مضى يفرغ ما بداخله :

- لقد أفقت إلى نفسى ، فأدركت كم أجرمت فى حقها ، وهذا هو ما يخيفنى من مواجهتها .

وإذا بالرجاء يكسر صوته تمامًا وهو يسأل (زيزو) بالدموع :

- أنت تعرفها جيدًا يا (زيزو) - أنت بمثابة أخيها .. هل ستسامحنى إذا ذهبت إليها ؟ إذا كانت ستسامحنى فهيا بنا فورًا إلى منزلها ، وسأبذل المستحيل كى أطيّب خاطرها .. ها يا (زيزو) ؟ ماذا ترى ؟ ماذا ترى ؟

وراح يتطلع إلى (زيزو) بمنتهى اللهفة ، حتى جاءه رد (زيزو) بالدموع :

- (هيام) فى المستشفى يا (أحمد) .

* * *

فتح (محمد إبراهيم) باب الشقة ليفاجأ بزوجته أمامه .. تسمرت نظراته على وجهها من المفاجأة .. ثلاث سنوات كاملة لم يلتقيا خلالها مرة واحدة .. كاد كل منهما ينسى ملامح الآخر .. كان نحيلاً شاحبًا ، تكاد شعيرات ذقنه البيضاء تغطى نصف وجهه ، وكان متدثرًا بروب باهت مهلهل ، وبدا وكأنه فقد نصف بصره ، فقد كانت عيناه غائرتين غائمتين كثقبين معتمين .. كان واضحًا أن المرض والوحدة قد فعلا به ما استطاعا .. ظل متسمرًا

فى مكانه ، يتطلع إلى زوجته بدهشته ، بينمـا هـى تبادلـه النظر فى مرارة طاغية ، حتى أشار لها بـالدخول ، ففعلت .. جلست قبالته فى صالة الشقة المهملة . وعادت تتطلـع إليـه بمرارتهـا ، حتى سألها باقتضاب :

ـ كيف حالك ؟

أجابته بمرارتها :

ـ الحمد لله .

ـ والبنت ؟

ـ أية بنت ؟!

ـ من ستكون سواها ؟ (هيـام) ابنتنا .

انفلتت منها ابتسامة تغطس فى المرارة :

ـ ابنتنا ؟! أما زلت تذكر أن لك ابنة ؟

أدرك أنها جاءت معبأة .. أسرع يكبح جماحها :

ـ (نانسى) ! الحال من بعضه .

بدت وكأنها لم تسمعه .. راحت تتفرسه بكـل مرارتهـا ، وهـى تسأله :

ـ لماذا ؟

أطرق إلى الأرض فى اختناق لعلها تسكت ، ولكنها لم تتركه .. مضت تسأله بمنتهى الغم :

ـ لماذا هذا الخلل فى الحياة ؟ وفى النفوس ؟

وكان رده بمرارة تفوق مرارتها :

ـ الأقدار يا (نانسى) .

وأثار رده استنكارها :

ـ الأقدار ؟!

ـ نعم ، الأقدار .

ـ الأقدار تجعل الإنسان يظلم نفسه ؟ ويظلم الذين حوله معه ؟ الأقدار أم الطباع الرديئة ؟

ـ وما الطباع يا (نانسى) ؟ أليست مـن صنع الأقدار ؟ ومن توزيعها ؟ أليست مفروضة على الإنسـان ؟ طباع النـاس أصناف يا (نانسى) .. طباع تسعد أصحابها .. وطبـاع تشقى أصحابهـا .. وطبـاع تمضى بأصحابها فى سلام رغم أية ظـروف .. فهل لو خُيِّرَ عاقل بينها هل كان سيقرب الردىء منها ؟ لا أحد اختـار طباعه يا (نانسى) .. لا أحد اختارها .

ـ أليس هناك شىء اسمه تقويم ؟

ـ لا تقويـم ولا تبديل فى الطبـاع يـا (نـانسى) .. إنهـا قدر المرء ..

وأدركت المسكينة أنـه لا جدوى من الجدال .. أطرقت يأسًا وغمًا للحظة ، ثم رفعت وجهها نحوه قائلة :

ـ (هيـام) فى العناية المركزة .

* * *

انطلق (زيزو) و (أحمد) مهرولين فى (كريدور) المستشفى .. لقد بشرتهما إحدى الممرضات بأن (هيـام) أفـاقت ، وغـادرت العنـاية المركـزة .. دلتهمـا إلى غرفتها ، فانطلقا إليها حتى إذا ما بلغاها راح (زيزو) يفتح بابها بمنتهى الرفق والحذر حتى لا يقلق الحبيبة .

كـانت (هيـام) راقدة على ظهرها فـى فراشها الأبيـض ، سـاهمة بنظراتها فى سقف الغرفة .. نحـل جسدها كثيرًا ، وشـحب كل ما فى وجههـا إلا براءتهـا وملائكيتهـا .. شعرت بفتـح بـاب الغـرفـة ، فالتفتـت نحـوه لتنساب علـى شفتيها ابتسامة فرحة أشاعت النور فى وجهها وعينيها .. ورفرف قلب (زيزو) ، وراح يتقدم منها غير مصدق ، وقـد أثقلت فرحتـه التى انفجرت فى قلبـه خطـواته ، بينمـا (أحمـد) خلفـه ، متسمرًا فى مكانـه عند الباب ، متطلعًا إلى (هيـام) بنظرات متهيبـة ، وقـد أمسـك فى يـده بوردة بيضـاء ، رفعهـا أمام صـدره ، وكـأنه يوكلهـا بالحديث نيـابة عنـه لدى الحبيبة الراقدة ..

وظهر الأبوان (محمد إبراهيم) و(نانسى) بالباب ، ومن خلفهما ظهر الأستاذ (نور) و(سيد الروبى) و(شهيرة) ، وعدد كبير من زملاء وزميلات (هيام) فى النادى .. كل أحباء (هيام) جاءوا مهنئين بسلامتها .. ولكن الفتاة الرقيقة بدت وكأنها لم تر منهم جميعًا سوى واحد فقط :

(زيزو) !

تعلقت عيناها بوجهه وبعينيه وهو يميل عليها تسبقه نبضات قلبه المتلاحقة ، وأنفاسه الحارة ، ونظراته المشحونة بشلالات من المشاعر المشتعلة .. إنه مدفوع دفعًا لأن يقدم على شىء ما ، ولكنه لا يستطيعه .. مدفوع لأن يضمها فى حضنه .. لم تجرؤ ذراعاه على فعلها ، ولكن عينيه فعلتاها ، انهالتا عليها أحضانًا وقبلاتٍ تلقتها الحبيبة بابتسامة هانئة ، لم يستطع المرض أن يخفى ما فيها من هناء ومن فرحة ، ولفحت أنفاس (زيزو) الساخنة وجه الحبيبة ، فإذا بها تسأله بخفوت كهمس الكناريا :

ـ أما آن الأوان يا (زيزو) ؟

ولم يفهم (زيزو) .. سألها بصعوبة ، من ضغط مشاعره المشتعلة :

ـ آن لأى شىء يا (هيام) ؟

ـ لأن تأخذنى فى حضنك .

وفوجئ (زيزو) .. انفلتت منه نظراته تحلق على وجهها مذهولة غير مصدقة ، فإذا بها تكررها عليه :

ـ خذنى فى حضنك يا (زيزو) ! خذنى فى حضنك .

وذاب قلب (زيزو) وهو يضمها فى حضنه ، بينما أغمضت هى عينيها متذوقة حلاوة حضن العمر ، وهى تقول للفتى بخفوت الموت :

ـ ياااه يا (زيزو) .. قضيت عمرى أخاف الموت ، والآن فقط أحببته .. فقد منحنى حضن من يستحقنى دون ملامة .

وفتحت عينيها مرة أخرى على وجه الفتى الجميل ، تريد أن ترويهما منه لآخر مرة ، ولكنها لم تره جيدًا ، ولم تر دموعه

المنهمرة من عينيه ، ولم تر (أحمد) بذهولـه ، ولا وردتـه الساقطة على الأرض ، ولا الواقفين من حوله .. فقد كان طائر الموت يسحبها بعيدًا عنهم .. وكان النور فى عينيها يذوى رويدًا رويدًا ، حتى انطفأ تمامًا ..

[تمــت]

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

صدر من هذه السلسلة:

1 ـ من أجلك .
2 ـ لا تقل وداعًا .
3 ـ قلوب لا تنبض .
4 ـ الدموع الباردة .
5 ـ هى فى حياتى .
6 ـ بقلب لا تغفر .
7 ـ النبع الجاف .
8 ـ طيور بلا أجنحة .
9 ـ رسالة حب .
10 ـ لعبة القدر .
11 ـ العصفور الجريح .
12 ـ أشجار الحب .
13 ـ رحلة قلب .
14 ـ شمس الليل .
15 ـ الحب بلا أرقام .
16 ـ لقاء الحب .
17 ـ المرأة السوداء .
18 ـ حب وكراهية .
19 ـ وذاب الجليد .
20 ـ حب وسط النيران .
21 ـ دموع الوحيد .
22 ـ أوهام الحب .
23 ـ نداء قلبى .
24 ـ حذار من الحب .
25 ـ الموعد .
26 ـ وداعًا يا حبى .
27 ـ حبى المعذب .
28 ـ لك قلبى .
29 ـ الحلم .
30 ـ زوجى .
31 ـ الحب والمعجزة .
32 ـ وداعًا للماضى .
33 ـ طائر غريب .
34 ـ هذا الرجل .
35 ـ التقينا من جديد .
36 ـ نسمة الصباح .
37 ـ لن أعود .
38 ـ الشريكان .
39 ـ أنت قدرى .
40 ـ بلا أمل .
41 ـ أحلام ضائعة .
42 ـ أين الحبيب .
43 ـ الحاجز .
44 ـ لن أنساك .
45 ـ ستبقى فى قلبى .
46 ـ أحببتك فى صمت .
47 ـ رجل وفتاتان .
48 ـ الحب الجريح .
49 ـ الحب والاختيار .
50 ـ وابتسمت الحياة .
51 ـ اللقاء الأخير .
52 ـ عودة القلب .
53 ـ أمواج الحب .
54 ـ معك دائمًا .
55 ـ اغفر لى .
56 ـ لقاء فى الغروب .
57 ـ جدار الماضى .
58 ـ لأنى أحبك .
59 ـ الأسيرة .
60 ـ مرحبًا بالحب .
61 ـ شمعة لا تنطفئ .
62 ـ لا ترحلى .
63 ـ لمسة حب .
64 ـ الصديقتان .
65 ـ الوجه الدميم .
66 ـ خفقات قلب .
67 ـ جراح الماضى .
68 ـ حبيبتى الوحيدة .
69 ـ آلام الحب .
70 ـ كفانا عنادًا .
71 ـ رجل أحببته .
72 ـ نبع الحب .
73 ـ مشاعر دافئة .
74 ـ أشواك الحب .
75 ـ لن أبكى .
76 ـ قلوب حائرة .
77 ـ وداعًا للأبد .
78 ـ فتاة جميلة .
79 ـ قسوة وغفران .
80 ـ ليس من أجلى .
81 ـ سحابة صيف .
82 ـ زهرة برية .
83 ـ زهرتى الجميلة .
84 ـ ابتسامة القدر .
85 ـ لعبة الزمن .
86 ـ شاطئ الأمان .
87 ـ فجر جديد .
88 ـ حب وحرمان .
89 ـ ليل ونهار .
90 ـ سأنتظرك دائمًا .
91 ـ بعد الانتظار .
92 ـ حب بلا موعد .
93 ـ زواج العمر .
94 ـ القرار الصعب .
95 ـ معنى السكوت .
96 ـ ثأر .
97 ـ اغفر يا قلب .
98 ـ الحائرة .
99 ـ ملاك الحب .
100 ـ أزمة منتصف العمر .
101 ـ ورود وأحجار .
102 ـ الفارس الحزين .
103 ـ رحلة الأمواج .
104 ـ أحــلام .
105 ـ زائرة جنيف .
106 ـ وأخيرًا التقينا !
107 ـ أنين الروح .
108 ـ الوردة البيضاء .

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

فوزى عوض

الوردة البيضاء

ليل .. وبرد .. وقلب رقيق
جريح يهفو إلى ضمة حضن
دافئة توقف رجفته ، وتسكت
أنينه ..
ولكن ليس ، أحمد ، من الصنف الذى
يفعلها ، رغم تحرك قلبه وإحساسه
بالذنب ؛ لديه قدرة عجيبة
على المكابرة والتحكم
فى مشاعره ..

108

الثمن فى مصر 300
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية